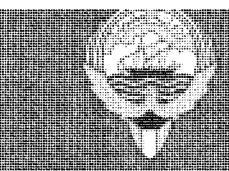


وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

قطاع الشؤون الثقافية

الوعي الإسلامي

التجديد في التفسير

نظرة في المفهوم والضوابط

إعداد

د. عثمان أحمد عبدالرحيم

الإصدار: الحادي عشر



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

قطاع الشؤون الثقافية

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-Islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The

Ministry of Awqaf - Islammic Affairs - Kuwait

ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة

الرمز البريدي 13097 الكويت

هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

إشراف

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

تنفيذ وطباعة




بسم الله الرحمن الرحيم



تصـــدير

الحمد لله الذي دعانا إلى بابه، وأنعم علينا بإنزال كتابه، أنزله على عبده محمد ﷺ ليكون للعالمين نذيراً، وأرسله شاهداً ومبشّراً وجعله سراجاً منيراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بعثه ربّه بالحق نذيراً وبشيراً؛ أمّا بعد:

فإنّ علْم التفسير من أجلّ العلوم وأرفعها قدراً، وأعظمها مكانة، لذلك لم يتفرّغ له من النّاس إلاّ الأئمّة العلماء؛ أهلُ الأثر والنّظر؛ لجَلال القرآن العظيم واحتوائه على المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وغير ذلك ممّا يصعب على غير الأئمّة الجهابذة.

ويمكن أن يُكتفى في تعريف التفسير بأنّه بيان كلام الله، أو أنه المبيِّن لألفاظ القرآن.

وجَرْياً على سُّنَّة الله تعالى في إرسال الرسل لأقوامهم، نزل القرآن بلغة العرب وعلى أساليبهم؛ قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (سورة إبراهيم/٤)، وكان طبيعيّاً أن يفهم النبيّ ﷺ القرآن جملة وتفصيلاً؛ إذ تكفل الله تعالى له بالحفظ والبيان؛ كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ (سورة القيامة/١٧-١٩)، كما فهم الصّحابة الكرام رضي الله عنهم القرآن في جملته، غير أنهم لم يكونوا في درجة واحدة بالنسبة لفهم معاني القرآن، بل تفاوتت مراتبهم، نظراً إلى تفاوتهم في معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، وما صاحَبَ ذلك من تفاوت في فهم خطابات العرب، وغير ذلك، ولا ضَيْر في هذا؛ فإنّ اللغة العربيّة واسعةٌ الأطراف لا يحيط بمجْمَلها وكثيرٍ من تفاصيلها إلاّ مَن فتح الله تعالى عليه.

وهكذا سرى هذا التّفاوت في فهم القرآن العظيم وتوجيهه وتفسيره في طبقات التابعين وأتباعهم، وتبعاً لذلك نحا أئمّة التفسير في مناهجهم أنحاءَ متفرّقة في

تفسير كتاب الله تعالى، فبعضهم مال إلى تفسيره بالآثار، وبعضهم توسّع ولم يَرَ حرجاً في التفسير بالرأي، وهكذا إلى أنْ وصل إلينا هذا العلم، وتباينتْ طرائق المُتأخّرين في تناوله وتِبْيانه؛ فبعضهم عكف على تفسيره مقلّداً فيه الأوائل لا غير، وبعضهم ابتكر طرقاً حسنة غير تلك التي مشى عليها المتقدّمون.

ومن هنا جاءت أهميّة موضوع التجديد في هذا الفنّ، وإنّ مجلة الوعي الإسلاميّ وبناء على خطّتها الرّامية لطباعة إصدارات علميّةٍ وفكريّةٍ مختارةٍ بين آونةٍ وأخرى، قد عزمتْ هذه المرّة على طباعة كتاب مُهْتمّ بالنظر في مناهج التفسير، وأهمية التّجديد في هذا العلْم الجليل المتعلّق بكتاب الله عزّ وجلّ، ألا وهو كتاب «**التجديد في التفسير**» لمؤلّفه الدّكتور عثمان عبد الرّحيم الإمام والخطيب بوزارة الأوقاف الكويتيّة -وفقه الله-.

وفي هذا الكتاب بعضُ المقدّماتِ اللاّزمةِ لطالب العلم، وللمثقّف على حدٍّ سواء، تنفعه إذا تأمّلها قبل قراءته للتفاسير؛ على اختلافها وتنوّعها، وهو كتابٌ مستفادٌ مِن مجموعِ قراءاتٍ في تفاسير المتقدمين والمتأخرين، ونظرات متأنّية في كتابات المفكرين على اختلاف مشاربهم وتعدد منازعهم.

والكتاب يحتوي في مُجْمَلِه على أنواع التفاسير، وأنّها تفاسيرُ بالرّأي وأخرى بالأثر، كما أفاض مؤلّفه في حقيقة التّجديد ومقتضياته في علم التفسير، وأَطَلَّ بعمق على مسيرة التّجديد في هذا الفنّ العظيم، ثم بيّن ضوابط التّجديد، كما لم يهمل الحديث عن طبقات المفسرين الأوائل والمتأخّرين، واحتوى الكتاب على المعالم الرئيسيّة للتّجديد التّفسيريّ، واتجاهات التجديد في العصر الحديث.

ومجلّة الوعي الإسلاميّ إذ تقدّم هذا الإصدار لقرّائها، لترجو الله تعالى أن يجعل فيه النّفع للجميع، وأن يجعله خالصاً لوجه الله الكريم مُوجِباً لرضوانه العظيم.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

التجديد في التفسير

تمهيد

في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر فوجئت الممالك الإسلامية بطوفان من الاستعمار الغربي، بينما كان المسلمون في هجوعهم، ولم يستيقظوا بعد كل اليقظة، الأمر الذي جعل سيل الطغيان يمتد من قطر إلى قطر في شرق العالم الإسلامي وغربه، وما إن انتصف القرن التاسع عشر حتى غدت معظم الأمم الإسلامية تبعًا للغرب الأوروبي ومُقلدة له.

ومنذ ذلك الوقت أصبحت الأمة الإسلامية تعيش واقعًا أشد حرجًا وضعفًا، فلقد وقعت تحت تأثير الغزو الاستعماري، والاحتكاك الثقافي غير المرشَّد، وكان أشد ذلك فيما يتعلق بالتصورات والعقائد والمفاهيم والنظرة إلى الإسلام، فانتشرت العلمانية التي تفصل بين الدين والدولة، ورُمي الإسلام بالتخلف والرجعية، ومن ثم تغلغلت اللغة الأجنبية كلغة بديلة للغة القرآن، وجاءت فكرة «الابتعاث» إلى الغرب، فأعانت على هدم السدود المنيعة بين الإسلام والصليبية، وكوّنت جيلًا منبهرًا بالغرب وسلوكه ومبادئه المزيفة.

وعرفت الصليبية كيف تخترق عقلية الشعوب من خلال أجهزة الإعلام ووسائله التي أوهت التقاليد، وأضعفت أثر الأعراف الدينية والاجتماعية، ولم يغفل أعداؤنا عن دور المرأة المهم في إدارة الحياة الاجتماعية، وعلموا أن الوصول إليها وإفسادها فسادٌ للأسرة والمجتمع، فتوجهت إليها السهام والخطوب في محاولة لنزع حجابها، وإخراجها من بيتها وخداعها بمبادئ جوفاء مثل «المساواة» و«حرية المرأة» و«الحقوق السياسية»... وتتابعت الخطوات من أجل خلع حيائها.

ولاشك أن هذه الوسائل والأساليب الخبيثة تركت أثرًا سلبيًا على الأمة الإسلامية، الأمر الذي اقتضى ضرورة حدوث وثبة حقيقية تنهض بها الأمة من كبوتها لتعيد الدين إلى مكانته في قلوب الناس وحياتهم، وتنقيه مما علق

به، وتراكم عليه من مفاهيم خاطئة وتصورات مغلوطة، وتقاوم الهجمة الصليبية الفكرية التي أحاطت بعقول الناس وأفكارهم.

من هنا نشأت الصحوة الإسلامية المباركة، وأفرزت علماء ربانيين أخذوا على عاتقهم دعوة الناس إلى دين ربهم، وإحياء السنن المنسية، والفرائض المعطلة، والرجوع إلى صفاء العقيدة ونقاء الإسلام، وحلاوة الإيمان، إذ التجديد سنة من سنن الله الماضية في دينه، فإن من طبيعة الحياة الإنسانية أن تركد وتأسن، ويطرأ عليها بمرور الزمن ما يكدر صفاءها، فلا يكاد الناس يستقيمون على الإيمان والتوحيد، حتى تبدأ عوامل الانحراف تتسرب إليهم شيئًا فشيئًا تسرب الماء الآسن إلى المَشْرَع الرَّوِي، فإن نقاء العقيدة، إن لم يصن، لا يلبث أن يشوبه شيء من ذرائع الشرك ووسائله وأسبابه، ثم تظهر بعد حين النتائج المخوفة من وراء تلك الذرائع والوسائل والأسباب، ولذلك اقتضت حكمته تعالى أن يرسل رسله وأنبياءه إلى البشرية تترى متعاقبين، يقودون خطامها إلى السعادة في العاجل والآجل، فكان منهم من يأتي بشريعة إلهية جديدة، ومنهم من يأتي لتجديد ما اندرس من شريعة نبي قبله، حتى ختم الله الرسالات برسالة محمد صلى الله عليه وسلم[1].

فإذا كان من الناس مَن ينحرفون في أعظم الأمور وأخطرها في قضايا الاعتقاد في حياة رسلهم عليهم الصلاة والسلام، كقول فريق من بني إسرائيل لموسى ﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ ﴾[2]، وكقول بعض الصحابة في بداية عهدهم بالإسلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم «اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات

(١) التجديد في الإسلام، من إصدارات المنتدى بلندن تحت رقم ١ ص ١٨.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٣٨.

أنواط»[٣]، فكيف وقد ختمت الرسالات، وأغلقت أبواب الوحي؟ وكيف بما دون ذلك من قضايا وأحكام وتشريعات؟

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون العلماء هم ورثة الأنبياء وحملة الشريعة ومشاعل الهدى وهم الذين يضيئون للناس طريقهم ويحملون النور في دروب الظلام، ويجددون للناس أمر دينهم.

قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها»[٤].

---

(٣) عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى خيبر مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة..» أخرجه الترمذي، كتاب الفتن بـ١٨ ح٢١٨٠.

(٤) رواه أبو داوود في سننه، كتاب الملاحم ١٠٩/٤ وصححه الحاكم والبيهقي وابن حجر والسيوطي، انظر عون المعبود ٣٩٦/١١، وفيض القدير ٢٨٢/٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١٤٣، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٦٠١.

المبحث الأول

مفهوم التفسير

التفسير لغة: من الفسْر- بسكون السين- أي الإبانة وكشف المغطى، والتفسير لغة أيضًا نظر الطبيب إلى الماء [٥] (ليستدل على المرض)، وقال الجرجاني: التفسير في الأصل الكشف والإظهار، وفي الشرع: توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة.[٦]

وقد اختلفتْ عباراتُ العلماءِ في البيان عن معنى التَّفسيرِ في الاصطلاحِ، وجاءوا بعباراتٍ شَتَّى، وإن كان أشهرها تعريف الذهبي بأنه: «علم يُبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية»[٧].

أولًا: التفسير بالمأثور

تقدم أن معنى التفسير الكشف والبيان، وأنه في الاصطلاح البحث في كتاب الله تعالى بغية التوصل إلى مراده بقدر الطاقة البشرية، أما التفسير بالمأثور فحاصل كلام أهل التفسير فيه أنه: «تفسير القرآن الكريم بما جاء في القرآن الكريم أو السنة أو كلام الصحابة»[٨] ثم إن كثيرًا من أهل التفسير على أن من لم يجد من القرآن أو السنة أو كلام الصحابة ما يقف به على مراد الله تعالى،

---

(٥) القاموس المحيط- الفيروزآبادي

(٦) التعريفات- الجرجاني- ٥٦

(٧) مناهل العرفان- الزرقاني-٢/٧ غير أني اجتهدت في معرفة الصحيح منها في بيانِ مصطلح التَّفسير، ورأيتُ أنَّ المرادَ بالتَّفسير بيان المعنى الَّذي أرادَه اللهُ بكلامه، انطلاقا منَ الدلالة اللغوية للَفظَة، وهو البَيانُ أو الكشفُ أو الشَّرحُ أوَ الإيضاحُ، وأنه أصل يعتمد عليه في تحديد المراد بالتَّفسير، وعليه فإن أيَ معلومة فيها بيانٌ للمعنى، فإنها من التَّفسيرِ، وإن كان ليس لها أثرٌ في بيانِ المَعنى فإنَّها خارِجةٌ عن مفهوم التَّفسيرِ، وإنما ذُكرت في كتبه، إمَّا لقربها من علم التَّفسير بكونها من علوم القرآن، وإمَّا لتفنُّن المفسِّر بذكرَ العلم الذي برز فيه، فجعل تفسيره للقرآن ميدانًا لتطبيقاتَ علمه، وإمَّا لوجود علاقة أخرى بينها وبين ما يذكره المُفسِّرُ، وإمَّا ألا يكون لها علاقةُ البتَّةَ، وإنما ذكرَها المفسِّرَ بسببِ المنهج الذيَ نهجَه في تفسيرِه.

(٨) انظر مناهل العرفان ٢/١٥، ومقدمة تفسير ابن كثير ٣٧-١/٤١ طبعة دار الفتح، ومقدمة الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ولمحات في علوم القرآن ص٢٦٠ للصباغ.

فإنه يأخذ بأقوال التابعين على اختلاف بين المفسرين في قيمة هذا التفسير أو مدى إلزامه للمفسر[٩]، ولعل الراجح بالنسبة للتفسير المأثور عن التابعين أن ما أجمعوا عليه حجة، وأن ما اختلفوا فيه ليس بحجة على من خالفهم، ثم يُنظر إلى من أُثر عنه فإن كان ممن يأخذ عن أهل الكتاب فلا يعتمد عليه، وإن كان ممن لا يأخذ عنهم فتُعتبر أقواله [١٠].

ثانيًا: التفسير بالرأي

الرأي لغة: الاعتقاد[١١]، واصطلاحًا: الاجتهاد[١٢]، وأصحاب الرأي أصحاب القياس، لأنهم يقولون برأيهم فيما لم يجدوا فيه حديثًا أو أثرًا[١٣]، والحاصل من هذا أن التفسير بالرأي يعتمد على النظر والاجتهاد أو على «الدراية»، سواء أكان الاجتهاد في الترجيح بين احتمالات اللفظ أم الاعتماد على اللغة العربية ونحو ذلك، ولا يخفى أن هذا النوع من التفسير لا بد له من آلة، شأنه شأن أي لون من ألوان الاجتهاد، فإذا ما حصّل المفسر بالرأي هذه الآلة والتزم بضوابطها وبمنهجها الصحيح كان تفسيره من النوع المقبول- وعليه يُحمل قول من يرى جواز التفسير بالرأي- وأما إذا ما اقتحم من ينتسب إلى التفسير هذا البحر العباب بدون آلة سليمة ولم يلتزم بضوابط الاجتهاد والنظر الصحيح في كتاب الله عز وجل، فلا شك أنه يخرج من دائرة القبول إلى حيز الذم والرفض- وعلى مثل هذا التفسير المذموم يُحمل قول من يرى حرمة التفسير بالرأي- كما قال الشيخ الزرقاني: «فإن كان الاجتهاد موفقًا أي مستندًا إلى ما يجب الاستناد إليه بعيدًا عن الجهالة والضلالة فالتفسير به محمود، وإلا فمذموم»[١٤]، وأرى

---

(٩) تفسير القرآن العظيم- ١/٤١ (من المقدمة لابن كثير).

(١٠) انظر مقدمة تفسير ابن كثير ١/٤١، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ١٩٨-١٣/١٩٩.

(١١) القاموس المحيط- الفيروزآبادي.

(١٢) مناهل العرفان- الزرقاني- ٢/٤٨.

(١٣) القاموس المحيط- الفيروزآبادي.

(١٤) مناهل العرفان – ٢/٤٨.

أن أختم هذه الإشارة الموجزة ببيان جملة الضوابط التي يجب على المفسر أن يلتزمها في اجتهاده بالرأي وهي:

١- البحث عن تفسير الآية في القرآن الكريم أولًا والسنة الصحيحة ثانيًا فإن وجده فيهما فلا يعدل عنهما إلى رأيه البتة.

٢- فإن لم يجد، بحث في أقوال الصحابة، فإن صحت فلها حكم الحديث المرفوع إذا كانت مما لا مجال للرأي فيه- كأسباب النزول- ولم يؤثر عنه الرواية عن الإسرائيليات، وإلا كان حديثا موقوفا على الصحابي فيما عدا ذلك، ولكنها أيضًا حجة لقوة احتمال سماعها من الرسول صلى الله عليه وسلم، ولوفرة ما تهيأ للصحابة رضوان الله تعالى عليهم من أسباب فهم كتاب الله تعالى كمعاصرة تنزيله وبيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم إياه، وسلامة لغتهم، ومعايشة ملابسات فترة نزول الوحي وغير ذلك.

٣- مراعاة ما تقتضيه اللغة العربية، خصوصًا معاني الألفاظ والتراكيب عند العرب وقت التنزيل، وعدم الخروج عن قواعد اللغة عند التفسير بالرأي.

٤- مراعاة ما يقتضيه الشرع، وما تدل عليه أصول الشريعة فلا يحكم بمجرد المعنى اللغوي، بل يراعي ما يناسب مقاصد وأصول الشريعة، وأن هذا القرآن الكريم كلام الله تعالى أوحاه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، ليأمر الناس وينهاهم به وليخبرهم عن ربهم جل في علاه، فينبغي مراعاة هذه المقاصد العظمى.

٥- ألا يخوض فيما استأثر الله تعالى بعلمه كالمتشابهات التي ليس إلى تحديد مرادها من سبيل سوى النقل.

٦- ألا يقطع بأن ما توصل إليه بالرأي والتدبر والنظر هو مراد الله تعالى.

٧- ألا يعتقد رأيًا ويحمل آيات القرآن عليه، فلا يجعل هواه حكمًا على القرآن بل العكس[١٥].

---

(١٥) مناهل العرفان – ٤٨-٢/٤٩ بتصرف.

مفهوم التجديد

التجديد في أصل معناه اللغوي يبعث في الذهن تصورًا تجتمع فيه ثلاثة معانٍ متصلة، لا يمكن فصل أحدها عن الآخر، ويستلزم كل واحد منها الآخر.

أولهـا: أن الشيء المجدد قد كان في أول الأمر موجودًا وقائمًا، وللناس به عهد.

ثانيها: أن هذا الشيء أتت عليه الأيام فأصابه البلى وصار قديمًا خلقًا.

ثالثها: أن ذلك الشيء قد أعيد إلى مثل الحالة التي كان عليها قبل أن يبلى ويخلق[١٦].

أما اصطلاحًا، فقد اختلف العلماء في تعريفه[١٧]، فقيل التجديد هو «إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما»[١٨].

وقيل تجديد الدين «هو إحياء وبعث معالمه العلمية والعملية التي آياتها نصوص الكتاب والسنة وفهم السلف»[١٩]، **وبذلك فإن مجمل تجديد الدين يعني:**

* السعي لإحيائه وبعثه وإعادته إلى ما كان عليه في عهد السلف الأول.

* حفظ نصوص الدين الأصلية صحيحة نقية حسب الضوابط والمعايير التي وضعت لذلك.

---

(١٦) جاء في معاجم اللغة: تجدد الشيء يعني صار جديدًا، والجديد هو نقيض الخلق، وجددت الثوب فهو مجدود وجديد أي مقطوع، ومن هذا قولهم ثوب جديد أي كأن ناسجه قطعه الآن، وسمي كل شيء لم تأت عليه الأيام جديدًا، فالجديدان الليل والنهار لأنهما لا يبليان أبدًا وقولهم جدد الوضوء وجدد العهد يعني إعادة الوضوء، وتكرار العهد وتأكيده، انظر الصحاح للجوهري ٤٥١/١، ولسان العرب ١١١/٣، ومقاييس اللغة ٤٠٩/١، ومفهوم تجديد الدين د.بسطامي سعيد ص١٤-١٥.

(١٧) تناثرت آراء السلف عن التجديد في كتب الحديث وشروحها، ولأن مصطلح التجديد نشأ عن الحديث النبوي المروي في ذلك، فإن كتب الحديث التي خرجت هذا الحديث وشروحها تضمنت طائفة من الآراء حول التجديد، على أن تعريف التجديد نفسه لم يأخذ حيزًا كبيرًا في حديث العلماء عن التجديد، لأن كل عنايتهم كانت موجهة بالأساس- وفي المقام الأول- إلى بيان آرائهم حول من يصلح أن يحوز لقب مجدد.

(١٨) عون المعبود شرح سنن أبي داوود ٣٨٦/١١.

(١٩) مفهوم تجديد الدين، د.بسطامي سعيد ص٣٠.

* من مستلزمات التجديد سلوك المناهج السليمة لفهم نصوص الدين وتلقي معانيها من الشروح التي قدمتها لها المدرسة الفكرية السنية.

* غاية التجديد جعل أحكام الدين نافذة مهيمنة على أوجه الحياة، والمسارعة لرأب الصدع في العمل بها وإعادة ما ينقض من عراها.

* ومن توابع ذلك الاجتهاد، ووضع الحلول الإسلامية لكل طارئ وتشريع الأحكام لكل حادث، وتوسيع دائرة أحكام الدين لتشمل ما كان نافعًا متفقًا مع اتجاهات الدين ومقاصده وكلياته.

* ومن خصائص التجديد تمييز الدين مما يلتبس به، وتنقيته من الانحرافات والبدع، سواء أكانت هذه الانحرافات ناتجة من عوامل داخلية في المجتمع المسلم، أم كانت بتأثيرات خارجية[٢٠].

إذن فالتجديد ليس تغييرًا في حقائق الدين الثابتة القطعية لتلائم أوضاع الناس وأهواءهم، ولكنه تغيير للمفهومات المترسبة في أذهان الناس عن الدين وإعادته إلى ما كان عليه في عهد السلف الأول[٢١].

---

(٢٠) المرجع السابق ٢٩-٣٠.

(٢١) التجديد في الإسلام، من إصدارات دار المنتدى، لندن ص١٣، بتصرف.

حقيقة التجديد في التفسير

التجديد في التفسير يقوم على تقديم فهوم القرآن للناس في ضوء أحوالهم وظروفهم، وبما يتناسب مع معطياتهم الواقعية، ليكون التفسير قادرا على إسعاف البشرية بما تحتاج إليه وما يصلح حالها وما تطلبه لتحسين ظروفها.

كما يعني التجديد في التفسير «استلهام آيات القرآن الكريم، والتوجيه والهداية في كل ما يعترض حياتنا وما يمس العقيدة والأخلاق أو يدخل في بناء مجتمعاتنا وسياساتنا واقتصادنا، بما يكشف عن وفاء القرآن الكريم بحاجة البشرية وفاءً لا يعوزها إلى غيره من طرائق الهدايات، على أن يكون رائدنا في استلهام النص ألا نفرض عليه ثقافاتنا وعلومنا أو نخلع عليه من فلسفاتنا وآرائنا، بل أن نأخذ من النص- مستعينين بما تقدم- ما يعطينا من قيم، أو يدل عليه من آراء ومعتقدات، أو يوصي به من أفكار علمية أو اجتماعية، حتى ولو لم تتفق مع ما نعلمه من ذلك»[٢٢]، وذلك بهدف إعادة التوازن إلى الشخصية المسلمة ورسم الصورة الصحيحة أو الكاملة للغرض الأساسي الذي نزل القرآن الكريم من أجله، والذي يتمثل في بناء الشخصية المسلمة، وإنشاء جيل على قواعد هذه التربية الربانية، تجعله صورة ناطقة عن الحق الذي نزل به القرآن، وبناء أمة لها خصائصها ومزاياها التي تجعل منها خير أمة أخرجت للناس[٢٣].

غير أن ما يجب التنبيه إليه هنا هو أن المقصود بالتجديد في التفسير، تجديد نظرتنا- نحن المسلمين- إلى القرآن، وليس معناه أن نصوص القرآن تغيرت مدلولاتها، أو أن حقائقه تغيرت أو تطورت في ذاتها، فإن الذي تغير وتطور هو عقل الإنسان الذي يتسع إذا استنار، وفكره الذي يتضح إذا استقام، مع كثرة البحث والتجريب، فيبدو له القرآن على حقيقته الأصلية الخالدة.

إذن فالتجديد في التفسير لا يعني إطلاقًا «إخضاع الآيات القرآنية لما طرأ

---

(٢٢) اتجاهات التجديد في مصر في العصر الحديث، د.إبراهيم الشريف ص٨٩.

(٢٣) الفكر الديني في مواجهة العصر، د.عفت الشرقاوي ص٢١٣.

على الأفكار والآراء والمذاهب الجديدة، ومحاولة تلقي النصوص القرآنية على أساس الفلسفة، تحت دعوى التنوير وتطوير المفاهيم القرآنية وليِّ أعناق النصوص القرآنية للتوافق مع هذه الفلسفات البشرية، أو أن يجعل القرآن لقمة سائغة لكل ذي جاه أو سلطان، متخذين من التأويل وسيلة إلى الاستجابة لكل هوى، إن ذلك هو التطاول على القرآن والانحراف به، ممن أصابتهم لوثة الظهور بمظهر المجددين أو المتحررين وهم في الحقيقة متحللون، ولهم من القدرة والجرأة معًا على تأويل آيات القرآن الكريم ما يساعدهم على تلبية كل الحاجات والتمشي مع كل الظروف، ولا مانع عندهم من أن تساير الآيات القرآنية اليوم وضعًا من الأوضاع تنقضه في الغد القريب أو البعيد[٢٤]!

(٢٤) نحن والقرآن، محمد عبدالله السمان ص ٦٦.

المبحث الثاني

مقتضيات التجديد في التفسير

«وإذا كان التجديد ينسحب على مجالات الدين المتعددة ليشمل تجديد العقيدة بتجريدها من كل ما التصق بها من فلسفات بشرية وآراء عقيمة- نأت بها عن البساطة والوضوح وأدخلتها في متاهات جدلية- وكذلك يشمل تجديد علوم الحديث من حيث ربطها بالدراسات العلمية، والأوضاع المستجدة، كما تشمل عملية التجديد مجال الفقه بتنقيح مسائله وجزئياته وإعمال أصوله وقواعده في النوازل والمستجدات لتعالج إشكاليات الحياة المعاصرة- من خلال الاجتهاد في ضوء المقاصد العامة للشريعة، وفي إطار القواعد الكلية للدين- فإذا اتسعت جوانب التجديد لتشمل كل هذه المجالات والعلوم الشرعية، فإنه- بلا شك- سيتسع حتى يحتضن مجال التفسير من باب أولى، وذلك أن القرآن هو قطب رحى الحياة الإسلامية، فكل العلوم الشرعية راجعة إلى القرآن ومقاصده ومراميه، وما يريده من البشر»[٢٥].

هذا بالإضافة إلى: «أن أي وثبة حقيقية تتطلع إليها الأمة أو ينهض بها المجتمع إلى الإمام لا تتم إلا بباعث روحي عميق يرجع معه الناس إلى حقائق الدين الخالصة يستلهمونها، ويزيحون عنها كدر الانحلال، وزيف الانحطاط الذي ران عليها، وبغير هذا الأساس الروحي العميق؛ لا تستطيع أمة أن تصنع نهضة مهما يكن لها من القوة والنفاذ، لأن هذا الأساس الروحي ينبوع في النفس البشرية لا يغيض، وهو المعبّر عن حاجات هذه النفس في مختلف ملكاتها ومظاهرها»[٢٦].

ويؤكد ذلك تاريخ التفسير، فلقد كان النص القرآني هو الأساس القوي الذي حاول المصلحون أو مدعو الإصلاح دعم موقفهم به، فحيثما هبت أعاصير الزندقة

---

(٢٥) الدين، د.دراز ص٩٠.

(٢٦) تفسير المنار ١/٣٠.

والموجات الإلحادية كان المفسرون يهبون لمواجهتها، مستخدمين النص القرآني في الرد عليها، بل إن القرآن ظل قاعدة ثقافية مهمة في الحضارة الإسلامية على مر العصور... ولقد كان القرآن بذلك المرجع العام لنشاط الحضارة الإسلامية من جميع جوانبها، كما أن القرآن بحكم إعجازه البياني ومضمونه الأدبي كان محورًا ومصدرًا لملكات المسلمين النظرية والأدبية[٢٧].

ومن ثم فإن التجديد في منهجية التفسير يعد من أدق وأخطر مجالات التجديد، لأنه يعني معالجة ما تعيشه الأمة الإسلامية من أسقام وعلل وأخطاء، في ضوء ما يُستلهَم من خطاب الله تعالى للبشرية.

كما يعد التجديد في منهجية التفسير ضرورة فرضها واقع التفسير خلال طور التفريع، فقد غلب عليه الجمود الذي غطى محاولات التعامل مع النص القرآني، فأصيب فهم القرآن الكريم بكثير من التجاوزات، وغدت تفاسير القرآن عاجزة عن أن تسعف المسلم الحديث، بما ينبغي أن يبني عليه مستقبل أمته في الحياة الجديدة المشككة في الإيمان والدين، والفوارة بكل جديد من العلم والمعرفة. كما غدا المسلم الحديث هو الآخر عاجزًا عن اكتشاف الهداية القرآنية المبددة والمغمورة بين ركام الروايات والأسانيد في التفاسير الأثرية، أو التائهة بين مذاهب التفاسير الاجتهادية[٢٨]، إذ إن أغلب كتب التفاسير التي ألفت خلال عصور الركود والتأخر لا تخرج عن تلخيص لجهد سابق أو شرح أو تعليق عليه، حتى انحدر النشاط التفسيري إلى مستوى الفردية والوقوف عند تكرار المنقول، ويكفينا للتعرف على هذه الحقيقة أن نلقي نظرة عابرة على التفاسير التي أُلفت في هذه العصور الراكدة، وخاصة تلك الفترة التي أصاب الضعف فيها الدولة الإسلامية.

---

(٢٧) انظر: تاريخ الأستاذ الإمام ٤٦٥/١ تعليق من مجلس إدارة الأزهر.

(٢٨) التجديد في الإسلام، من إصدار دار المنتدى، لندن، ص٣٨.

فالبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي، وتفسير الجواهر الحسان هو اختصار لتفسير المحرر الوجيز، والدر المنثور عبارة عن جمع ما نقل عن السلف بصحيحه وسقيمه، دون إضافة أو زيادة أو حتى تعليق، والبيضاوي تفسيره اختصار للكشاف، ومفاتيح الغيب، وتفسير الراغب الأصفهاني، ومدارك التنزيل للنسفي، كل ذلك تلخيص للبيضاوي والكشاف، ولباب التنزيل اختصره الخازن من معالم التنزيل للبغوي مع حذف الأسانيد، وتجنب التطويل والإسهاب، والبحر المحيط معظمه من تفسير الزمخشري[٢٩].

وليت أهل التفسير كانوا يطلبون لأنفسهم معنى تستقر عليه أفهامهم في العلم بمعاني الكتاب، ثم يثبتونه في الناس ويحملونهم عليه، ولكنهم لم يطلبوا ذلك، وإنما طلبوا صناعة يفاخرون بالتفنن فيها، ولا يخرجون لإظهار البراعة في تحصيلها عن حد الإكثار من القول واختراع الوجوه من التأويل والإغراب في الإبعاد عن مقاصد التنزيل[٣٠].

ومن أهم ما لوحظ على تلك التفاسير:

١- بقاء المفسرين على طريقتهم التقليدية القديمة في التعامل مع النص القرآني تثقيفا للمسلم وإغناء له بأنواع المعارف اللغوية والنحوية والبلاغية والفقهية والتاريخية، وغيرها مما يختلف باختلاف شخصية المفسر.

٢- الاستطراد الطويل المستتبع لثقافة المفسر ومحاولة حشوها في كتب التفسير.

٣- الأخطاء البارزة في تفسير الآيات الكونية والمتعلقة بالطبيعة وغيرها.

٤- ملء كتب التفسير بالخلافات المذهبية والعقدية وغيرها.

---

(٢٩) التفسير والمفسرون للذهبي ٢/١٨٠.

(٣٠) تفسير المنار ١/٢٥-٢٦، ولا شك أن المقصود بعض التفاسير التي لم يتهيأ لأصحابها العلم الكافي، والمنهج الصحيح، الذي يعصم من الوقوع في الخلل المذكور، ولا يمكن أن يطلق مثل هذا الوصف على أئمة التفسير المتقدمين كابن جرير وطبقته مثلاً.

٥- عدم الاستجابة لتحديات الواقع، بحيث يفسر القرآن بعيدا عن حياة الناس، كأنما هو قوالب جامدة لا علاقة لها بواقع الناس وحياتهم، بل هي بحاجة إلى تفكيك ونشر.

٦- الاحتفال بالنقل عن أهل الكتاب.

٧- كثرة رواية الأحاديث الضعيفة والموضوعة في التفسير، والاستنباط منها جنبا إلى جنب مع الأحاديث الصحيحة.[٣١]

ولقد ظل الأمر على هذه الحال، وبقي التفسير واقفًا عند هذه المرحلة، مرحلة الركود والجمود، لا يتعداها ولا يحاول التخلص منها، حتى جاء عصر النهضة العالمية الحديثة[٣٢]، فنهض فريق من العلماء ليقوموا بعبء عملية تجديد التفسير، فاتجهوا إلى القرآن الكريم يتلونه حق تلاوته وينظرون فيه على ضوء ما وصل إليه اجتهادهم من الإلمام بالمستجدات الفكرية والعلمية التي جاء بها التطور الفكري والتقدم العلمي، ولم يكن للسابقين بها عهد، فأخذوا يستنبئون القرآن عن هذا كله، بعد أن أخذوا في التخلص من هذه الاستطرادات العلمية التي حشرت في التفسير حشرًا، ومزجت به عن غير ضرورة[٣٣].

كما أن من مقتضيات التجديد في التفسير ما تقرر في العقيدة الإسلامية لدى كل مسلم أن القرآن صالح لكل زمان ومكان، وأن أثره الإصلاحي لا يقتصر على زمن نزوله، بل هو ممتد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأن خطاب الله لمن كانوا في زمن التنزيل لم يكن مقتصرًا على الصحابة ولا مخصوصًا بهم دون غيرهم من الأجيال المتوالدة المتعاقبة، وأن هداية القرآن عامة وباقية، وتتجدد في أسلوبها بتجدد المجتمع الإنساني الذي يأخذ من هذه الهداية القرآنية ما

---

(٣١) التجديد في التفسير مادة ومنهجا د.جمال أبو حسان ص١١

(٣٢) التفسير والمفسرون، الذهبي ٢/١٨٢.

(٣٣) اتجاهات التجديد في مصر في العصر الحديث، د.إبراهيم الشريف الشريف ١٩٣.

يناسبه في عصره، ولما كان هذا مقررًا في اعتقاد كل مسلم فإنه لزم عن ذلك أن يجدد المفسرون والمشتغلون بالقرآن نظرتهم إلى القرآن وأن يستلهموا منها ما يقرر هذا المعتقد ويؤكده، من خلال الانتفاع بما أتى به القرآن من تحقيق مصلحة للناس في العاجل والآجل، وأن يجعلوا أثره واضحًا ليعيشه الناس، ويحسوا به، ويتفيأوا ظلاله، وأن يعلموا أن عدم تجديدهم لمناهج التفسير يعد تقصيرًا في حق القرآن.

يقول الزركشي: «وفي القرآن علم الأولين والآخرين، وما من شيء إلا ويمكن استخراجه منه لمن فَهّمه الله تعالى»[٣٤] ويزيد الغزالي الأمر وضوحا فيقول: «وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله تعالى وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها... فهذه الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا، ومتسعا بالغا، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه، والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير أولا، ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط" [٣٥]

«فإذا كان القرآن هو آخر الكتب السماوية المنزلة والمقدر له أن يظل مهيمنًا على شؤون حياتنا جميعها، فيكف يمكن أن يوهب له البقاء إذا كان فهمه منذ بضعة عشر قرنًا يبقى إلى اليوم الذي تطورت فيه العلوم وتبدلت خلاله الأحوال؟ وماذا فيما يعترض حياتنا من جديد، وهي بطبيعتها ناحية متطورة؟ وفي كل يوم تَجدّ أمور وتبتكر عقول، لا سيما أن القرآن قد اختصه الله بتجدد معانيه بكثرة النظر فيه وتكرر تدبره، وثرائه بالمعاني والأفكار والعلوم والمعارف التي يحملها النص الواحد، حتى لكأنك تقرأ النص فتجد في ألفاظه من المعاني والأحكام ما يتسابق به مغزاه إلى نفسك دون كد خاطر، ولا معاودة حديث.. ويخيل إليك أنك قد أحطت به خبرًا ووقفت على معناه محدودًا، ولو رجعت إليه كَرَّة أخرى لرأيتك

---

(٣٤) البرهان في علوم القرآن ٢/١٨٩.

(٣٥) إحياء علوم الدين ١/٤٣٢ وما بعدها باختصار يسير.

منه بإزاء معنى جديد غير الذي سبق إلى فهمك، حتى ترى للجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوهًا عدة، كلها صحيحة أو محتملة للصحة، كأنما هي فص من الماس يُعطيك كل ضلع منه شُعاعًا، فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة بهرتك بألوانها كلها، فلا تدري ماذا تأخذ عينك وماذا تدع.. وهكذا تجد كتابًا مفتوحًا من الزمن يأخذ كل منه ما يسر له بل ترى محيطًا مترامي الأطراف لا تحده عقول الأفراد والأجيال»[٣٦].

الأمر الثالث الذي يقتضي التجديد هو إثبات التوافق بين نصوص القرآن وما يثبت من الحقائق العلمية التي لا يقبل ثبوتها أي نوع من الشك[٣٧]، وذلك أن من جملة مقاصد نزول القرآن إلى البشرية أن يقوم في فم الدنيا آية شاهدة برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأن يبقى على جبهة الدهر معجزة خالدة تنطق بالهدى ودين الحق، ظاهرًا على الدين كما قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [٣٨]، ومقتضى ذلك أن ينفعل المفسرون لإثبات هذه الوجوه الجديدة التي تحقق هذا المقصد العظيم الذي من أجله أُنزل القرآن، وذلك من خلال إبراز ما ورد في القرآن من إشارات وإلماحات يتقرر بها أن خالق هذا الكون هو منزل القرآن»[٣٩]، فإن من أعجب عجائب القرآن التي لا تنقضي أنه نزل بأسلوب لا يصدم البدهيَّ المسَلَّم به عند الناس، ولا ينافي حقائق الأشياء، لئلا يكون داعيًا إلى تكذيبه إذا يسر الله سبيل الكشف عنها لأولي العلم في مستقبل العصو، والدليل على أن القرآن مهيأ لإحداث الربط بين نصوصه والاكتشافات والحقائق العلمية- التي ثبت كونها

---

(٣٦) النبأ العظيم، محمد عبدالله دراز ص٦٠.

(٣٧) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، د.فهد الرومي ص٢٨١.

(٣٨) سورة فصلت الآية ٥٣.

(٣٩) الفكر الديني في مواجهة العصر، د.عفت الشرقاوي ص٢٨٠.

حقيقية، وليست نظرية أو رأيًا علميًا- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفسر القرآن كله، وإنما فسر ما يتعلق بالتكليف الإيماني، وترك ما يتعلق بغير التكليف للأجيال القادمة حتى يتيح الله لعباده من أسرار آياته في الأرض ما يشاء، فيكون عطاء الله متساويًا مع قدرة العقول(٤٠).

وهذه الخاصية المعجزة- أعني عدم تصادم القرآن مع العلم والعقل وقت نزوله، وعدم تصادمه أيضًا معهما بعد تقدم البحوث والاكتشافات- تقتضي مزيدًا من البحث النظري المرتكز على ثوابت وقيم ما تم تقريره في علم أصول التفسير(٤١).

ومن الدواعي أيضا أن القرآن الكريم حض في ثناياه على السير في الأرض والنظر في آثار المهلكين، وكذا النظر في آثار رحمة الله تعالى بعباده، ولا شك أن المهلكين متنوعون والنعم متنوعة، والاعتبار بهذا وذاك يختلف باختلاف حال المعتبر المتدبر، فكل يعتبر ويتدبر ويتذكر ويتفكر بحسب ما أوتي من الطاقات والقوى والقدر، ولا شك أن في هذا اختلافا بيّنًا بين الناس، وفي هذا نمط من التجديد بين معتبر وآخر، إذ لا يلزم عليه أن تكون العبرة واحدة والاتعاظ بها سبيلا واحدا كذلك.

ويضاف إلى الدواعي أن ما في القرآن من الحوافز الدافعة إلى إعادة قراءته مرة تلو المرة أكبر الأدلة على الدعوة إلى التجديد في الفهم، لأن القرآن دافع إلى الرقي، فإذا كانت القراءة المتوالية لا ينتج فهمًا راقيًا عن الفهم السابق فكأنها لم تكن! وهذا لا ريب من حوافز التجديد والدعوة إليه في كتاب الله تعالى.

وبعد فإن القرآن الكريم كمال إلهي مطلق وبحر لا ساحل له، أنزل إلى الناس ليتعرضوا له بالقراءة والفهم والمدارسة والتدبر جيلا بعد جيل، فلا غرو إذن أن يتعرض القرآن الكريم إلى قراءات متلاحقة عبر العصور، وهذا أمر بديهي جدا. فكل عصر يستطيع أن يستنبط قضايا ومسائل تعينه على اجتياز المأزق

---

(٤٠) النبأ العظيم، د.محمد عبدالله دراز ص٨٧.

(٤١) المرجع السابق ص٩٠.

الحضاري الذي يجد نفسه فيه، فعلى ذلك يمكننا أن نقول إن تفسير القرآن الكريم يمكن أن يتجدد بكل عصر في ضوء المستوى الحضاري الذي وصل إليه أهل ذلك العصر والزمان، ولا يمكن أن نوقف تفسير كلام الله تعالى عند عصر معين، لأننا إن زعمنا ذلك، طعنًا في خلود القرآن وخاتميته وعالميته وهيمنته (٤٢) والله اعلم.

كما أن الاختلافات بين المفسرين ناشئة عن القراءة من جهة أو الاختلاف في معنى الكلمة، وهذا قليل، أما جل الاختلافات بين المفسرين فهي اختلافات في الرأي، ولا شك أن هذا ناشئ عن الاجتهاد في التفسير، والاجتهاد مدعاة للتجديد ولا شك، ولو أننا نظرنا إلى كتاب الطبري في التفسير وقرأنا فيه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ ﴾ من سورة البروج لوجدنا أنه يذكر آراء كثيرة مختلفة ومتباينة، وليس مردها لاختلاف في القراءة، ولا لمعنى لغوي، ولكنها اختلافات في الفهم والاجتهاد، ولا شك أن هذا ليس له حد، فهو- الطبري- بعد أن ذكر تلك الأقوال المتعددة والمختلفة قال: والصواب من ذلك عندنا أن يقال إن الله تعالى أقسم بشاهد ومشهود، ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أي شاهد وأي مشهود أراد، وكل الذي ذكرنا أن العلماء قالوا هو المعنيّ مما يستحق أن يقال له شاهد ومشهود وهو رحمه الله، يعني أن كل الأقوال التي ذكرها محتملة في الآية، وهذا القول منه لا يمنع من إحداث قول جديد يكون محتملًا للآية أيضًا، إذ لم يذكر هو ولا غيره أن هذه الأقوال هي حصريًا التي تحتملها الآية! (٤٣)

---

(٤٢) اتجاهات التفسير في مصر وسوريا د.عباس فضل، رسالة دكتوراه غير منشورة نقلا، عن التجديد في القرآن مادة ومنهجًا د.جمال أبو حسان.

(٤٣) التجديد في القرآن مادة ومنهجًا د.جمال أبو حسان ص٩.

إطلالة على مسيرة تجديد التفسير

إذا كانت هذه الدراسة قد عنيت بضرورة التجديد في التفسير والتطوير في تناوله وفق ضوابط سأذكرها لاحقا، فليس معنى ذلك أن المتأخرين قد أحدثوا في التفسير أشياء جديدة كثيرة، ولا يعني كذلك أن المتقدمين لم يكن لهم أي نوع من التجديد. بل الذي يطالع كتب التفسير يجد أن التجديد قد برز بروزًا واضحًا في ثنايا التفسير، بداية من القرن الثاني وانتهاء بالألوسي رحمه الله.

القرن الثاني: برز فيه مقاتل بن سليمان البلخي المتوفى سنة ١٥٠هـ، إذ ألف تفسيرًا شاملًا للقرآن، وهو على ما يبدو أول كتاب تفسير كامل وصل إلينا، وبغض النظر عما في هذا التفسير من آراء إلا أنه يمثل حلقة جديدة في التفسير لم يكن لها سابق، وهذا نوع من التجديد.

القرن الثالث: برز فيه من أعلام التفسير واللغة الفراء المتوفى سنة٢٠٧هـ، وأبو عبيدة المتوفى سنة ٢٠٩هـ، وعبدالرزاق الصنعاني المتوفى سنة ٢١١هـ والذي ذكر أقاويل السلف في التفسير دون أن يستوعبها واقتصر على ذلك، والأخفش المتوفى سنة ٢١٥هـ، وهؤلاء الثلاثة قد أحدثوا في التفسير نقلة جديدة لم يسبقوا إليها، حيث بدأت بذور الدراسات النحوية في التفسير تنمو وبتسارع شديد على أيدي هؤلاء الثلاثة، مما يعد نقلة جديدة في التفسير، وهذا لا شك نوع من التجديد.[٤٤]

القرن الرابع: برز فيه من المفسرين الإمام الطبري المتوفى سنة٣١٠هـ، والزجاج المتوفى سنة٣١١هـ، بما أبدع في جمع أقوال اللغويين والمفسرين في التفسير، والنحاس المتوفى سنة ٣٣٨هـ، والجصاص الحنفي المتوفى سنة ٣٧٠هـ، والسمرقندي أبو الليث المتوفى سنة ٣٧٣هـ، وكل واحد من هؤلاء قد أحدث

---

(٤٤) المرجع السابق ص١٢.

نقلة جديدة في التفسير، فأما الطبري فقد جمع روايات التفسير بأسانيدها ووازن بينها وأخذ يرجح ما كان راجحًا، ويضيف ما يراه لازمًا، ويعد الطبري بحق صاحب فتح جديد في التفسير، وأما النحاس فأضاف إلى العصر الذي هو فيه ما ذكره من أقاويل النحاة في الإعراب والترجيح بينها، وأما الجصاص فأحدث نقلة نوعية في هذا العصر، إذ قصر التفسير على آيات الأحكام وحاول جاهدًا إبراز مذهب الحنفية وتقوية أدلته وبراهينه من خلال التفسير، وأما السمرقندي فكان من أسلوب نهجه نقل ما تقدمه من الأقاويل مع حذف أسانيدها على خلاف ما جرى عند الإمام الطبري رحمه الله تعالى.

القرن الخامس: برز فيه الإمام القشيري الصوفي المتوفى سنة ٤٦٥هـ الذي أحدث نقلة نوعية في التفسير ممثلًا ذلك بكتابه لطائف الإشارات، حيث فسر القرآن الكريم كاملًا على منهاج الاعتدال الصوفي.

القرن السادس: برز فيه من المفسرين الكيا الهراسي الشافعي المتوفى سنة ٥٠٤هـ والذي فسر آيات الأحكام على المذهب الشافعي، والزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ الذي أبدع في التفسير البلاغي للقرآن الكريم، وابن عطية المتوفى سنة ٥٤٢هـ والذي أعاد الاعتبار لأقاويل السلف في التفسير بعد أن كادت تتيه في أتون الأقاويل الأخرى، ثم جاء ابن العربي المالكي المتوفى سنة ٥٤٣هـ والذي فسر آيات الأحكام على مذهب الإمام مالك.

القرن السابع: برز فيه الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ والذي أحدث نقلة نوعية في التفسير بما جمعه من مستحدثات العلوم في زمانه وخاصة العلمية منها، مما له علاقة بالتفسير، وابن جزي المالكي المتوفى سنة ٦٢٠هـ العالم الشهيد الذي قدم للناس تفسيرًا مختصرًا مفيدًا، والقرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ والذي فسر

القرآن كله واهتم بإبراز آيات الأحكام والخلاف فيها، فكان بحق كتابًا موسوعيًا مباركًا سهل العبارة.[٤٥]

القرن الثامن: برز فيه أبو حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ والذي ملأ تفسيره للقرآن بالتفريقات اللغوية والنحوية، حتى عُدّ الإمام الأوحد بين المفسرين في ذلك، وكذا ما أضافه من ردود على الزمخشري في التفسير، ثم جاء تلميذه السمين الحلبي المتوفى سنة ٧٥٦هـ، والذي أضاف إضافة نوعية إلى التفسير بوقوفه حكمًا بين شيخه أبي حيان والذين كان يعترض عليهم في تفسيره وخاصة الزمخشري وابن عطية.

القرن التاسع: برز فيه الفيروزآبادي المتوفى سنة ٨١٧هـ بما أحدثه من نقله نوعية في التأليف في التفسير في كتابه «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز».

القرن العاشر: برز فيه السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ بكتابه «الدر المنثور في التفسير بالمأثور»، حيث يعد هذا الكتاب أوسع كتاب ضم آراء المتقدمين من السلف في التفسير، وبهذا الكتاب حقق السيوطي نقلة نوعية في التفسير.

القرن الحادي عشر: لم أطلع فيه على مبرزين في التفسير.

القرن الثاني عشر: برز الألوسي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ بكتابه «روح المعاني»، حيث يعد هذا التفسير آخر حلقة من حلقات التفسير القديم، وصاحبه آخر من أدرك الخلافات الكلامية التي برزت في التفسير، وأخذت منه حيزًا كبيرًا.[٤٦]

---

(٤٥) المرجع السابق ص١٢.

(٤٦) المرجع السابق ص٩.

ضوابط التجديد في التفسير

لا شك أن التجديد في التفسير مسألة في غاية الحساسية، بل والخطورة أيضًا، فهي تعني ربط واقع الأمة وما استجد فيه من أحوال وقضايا في ضوء ما يُستلَهم من خطاب الله تعالى للبشرية، ولذلك فمن الضرورة أن يتم التجديد في التفسير وفق ضوابط تحكمه وتجعله يسير وفق منهجية منضبطة بأصول التفسير وعلومه، لا سيما أن إطلاق القول بالتجديد في التفسير يحتمل وجوهًا ومفاهيم تختلف باختلاف المقاصد والثقافات.

ويزيد الأمر خطورة أن التجديد أصبح يطلق على أشكال من التعامل مع النص القرآني أقرب ما تكون إلى تحريف الكلم عن مواضعه، والتعدي على ثوابت الإسلام، بل وتمريغ عناصر الفكرة الإسلامية في أوحال العصرية والتقدم، وإخضاع التفسير للون معين من التفكير، سواء في هدفه أو فيما يصدر عنه!

ووصل الأمر إلى حد أن استغل المستشرقون فقر التجديد في التفسير، وحاجته إلى ضوابط تحكمه وأصول تحدده، في محاولة تشويه مفهوم التجديد، حين زعموا أن الإسلام نفسه يتطور، وأن موروثات القرون الجامدة فشلت في مسايرة المدنية وروح الحضارة العصرية، كما يشهد واقع المسلمين الهزيل، وأنه لا مفر من الخضوع لقانون التطور الحاكم للحياة لينجوا من أسباب الضعف، ولهذا فإنه يجب عليهم أن يجددوا الإسلام من خلال تطوير القرآن نفسه كمرجعية عليا، وحيث إن النص محفوظ مصون، ولا يجوز مساسه بحال، فيجب أن نساير العصر ونحن نفهم هذا النص فنتلقاه بروح العصرانية والتنوير وحرية الفكر[٤٧].

لذلك لزم أن تكون لعملية التجديد في التفسير ضوابط تشمل في المفسِّر ذاته، وضوابط في ممارسة التجديد في التفسير.

---

(٤٧) اتجاهات التجديد في العصر الحديث، د.إبراهيم الشرقاوي ص١٧٤.

مفهوم المفسِّر

لم يحظ مصطلح المُفَسِّرِ من علماء القرآن والتفسير بتعريف[٤٨] كما عرَّفوا مصطلح التفسير، ويعتبر كتاب السيوطي «طبقات المفسرين» أول كتاب يجمع تراجمهم في كتاب مستقلٍّ، وقد قسم المفسرين إلى أنواع:

النوع الأول: المفسرون من السلف، وهم الصحابة والتابعون وأتباع التابعين.

النوع الثاني: المفسرون من المحدِّثين، وهم الذين صنفوا التفاسير مسندة، مُوردًا فيها أقوال الصحابة والتابعين بالإسناد.

النوع الثالث: بقية المفسرين من علماء السنة، والذين ضموا إلى التفسيرِ التأويلَ[٤٩]، والكلامَ على معاني القرآن وأحكامه وإعرابه وغير ذلك.

النوع الرابع: من صنف تفسيرًا من المبتدعة، والفرق الضالة[٥٠].

ثمَّ قال: «والذي يستحق أن يسمى من هؤلاء القسم الأول ثم الثاني، على أنَّ الأكثرَ في هذا القسم نَقَلَةٌ، وأما الثالث فمؤولة، ولهذا يسمون كتبهم- غالبًا- بالتأويل، ولم أستوف أهل القسم الرابع، وإنما ذكرت منهم المشاهير، كالزمخشري والرُّماني والجبَّائي وأشباههم»[٥١].

وهذا يعني أنك لو اعتمدت ما يذكره هو ومن كتب بعده في طبقات المفسرين لقلت المفسر: من كانت له مشاركة في علم التفسير أو كتب فيه.

---

(٤٨) انظر قواعد الترجيح عند المفسرين، للشيخ حسين الحربي (١: ٣٣)، فقد قال في تعريف المفسر: «من له أهلية تامة يعرف بها مراد الله تعالى بكلامه المتعبد بتلاوته، قدر الطاقة البشرية، وراض نفسه على مناهج المفسرين، مع معرفته جُملًا كثيرة من تفسير كتاب الله، ومارس التفسير عمليًا بتعليم أو تأليف».

(٤٩) هذا على المصطلح الحادث، وقد سمَّاهم أصحاب هذا القسم، وقد عرفت مما سبق أن هذا المصطلح غير صحيح، وما سيبنى عليه فإنه سيكون غير صحيح أيضًا، ومنه هذه التسمية المطلقة لمن جاء بعد السلف.

(٥٠) ينظر: طبقات المفسرين ص ٩- ١٠.

(٥١) طبقات المفسرين ص ١٠.

ويظهر أنَّ هذا سيكون من باب التسامح في المصطلح، دون التحرير له، وهذا ما يشير إليه كلام السيوطي عن الطبقة الثانية، حيث جعل أكثرهم نقلة للتفسير، ومع ذلك ذكرهم في طبقات المفسرين.

ولا شكَّ أن من كتب في طبقات المفسرين لم يكن قصدُه تعريفَ المفسر، بلَ كان قصدُه إيرادَ من له كتابةٌ في التفسير، دون تحليلٍ لنوع هذه الكتابة، من حيث كونها نقلًا أو اجتهادًا من المفسر.

ولا تكاد تَجِدُ ضابطًا في إيراد فلان من العلماء في عِداد المفسرين، ولذا ترى من أصحاب التراجم إدخالًا لبعض الصحابة في المفسرين، وإن كان الوارد عنهم فيه قليلٌ، كزيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير.

وقد يكون في ذلك تساهل في عَدِّهِمْ من المفسِّرين، وإذا نظرت إلى بعضهم وجدت أنه قد برز في بعض العلوم، فزيد بن ثابت كان مقرئًا، وهو الذي قام بكتابة المصحف، وكان فرضيًّا، فقد يكون بسبب بروزه في هذين العلمين- خصوصًا لعلم القراءة المتعلِّق بالقرآن- تُسُمِّحَ في إطلاق لقب المفسر عليه، والله أعلم.

والبروزُ العلميُّ العامُّ لا يلزمُ منه البروز في علم معيَّنٍ من العلوم، بل لقد كانَ علمُ الفقه وعلمُ القراءةِ أشهرَ العلومِ التي كانَ الصحابة يعلِّمونها للتَّابعينَ، ولذا لا يُستبعدُ أنَّ من كتبَ في طبقاتِ المفسِّرين قد تأثَّر بكتاباتِ من سبقَه في طبقاتِ الفقهاءِ، وأدخلَ بعضهم في علمِ التَّفسيرِ، وإنْ لم يكن من المعتنينَ به.

ولو سبرت المفسرين المذكورين في كتب طبقات المفسرين، واطَّلعت على ما دوَّنوه من منجزاتهم في التفسير لظهر لك أنَّهم لا يخرجون عن أربعة أنواع:

طبقة المجتهدين الأُوَل

وهم مفسرو السلف من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، الذين دونت أقوالهم في كتب التفسير المسندة، وقد كان لهؤلاء اجتهاد واضح في التفسير،

وكانوا أصحاب آراءٍ فيه، فمن المفسرين من جيل الصحابة ابن مسعود (ت ٣٥) وابن عباس (ت ٦٨).

طبقة نَقَلَةُ التفسير

وهم جملة من المحدِّثين وغيرِهم ممن لم يكن لهم إلا النقل لتفسير من سبقهم، ولم يكن لهم فيه أيَّ رأي أو اجتهاد، ومنهم عبدالرزاق الصنعاني (ت ٢١١).

طبقة المفسر الناقد

وهو الذي يجمع مرويات المفسرين ويرجح بينها، وإمامُ هذه الطريقة ابنُ جرير الطبري (ت ٣١٠) [٥٢]، حيث كان يذكر ما وصله من المرويات التفسيرية عن السلف، ثمَّ يرجح بينها بقواعد الترجيح التي تعتبر من أهم ميزات كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

طبقة المفسر المتخيِّر قولًا واحدًا

وهو أن يعمد المفسر إلى أقوال التفسير فيختار منها قولًا دون غيره، ولا يتعرَّض لنقد ما سواه، فهو في تخيره يوافق المفسر الناقد، غير أنَّ المفسر الناقد يتميز عنه بنقده الغالب لما لا يختار، وعمل المفسر المتخير شبيه بعمل بعض الفقهاء لكتب مذهبهم، حيث كتب بعضهم كتابًا على قول في المذهب، وأغلب المختصرات التفسيرية، كتفسير الجلالين، من هذا النوع.

---

(٥٢) يقول الفاضل بن الطاهر بن عاشور في كتابه: التفسير ورجاله (ص ٢٨)، وهو يتحدث عن يحيى بن سلام البصري: «... وهو الذي يعتبر مؤسس طريقة التفسير النقدي، أو الأثري النظري التي سار عليها ابن جرير واشتهر بها، ذلك هو تفسير يحيى بن سلام التميمي البصري الإفريقي، المتوفى سنة ٢٠٠ ... فبعد أن يورد الأخبار المروية مفتتحًا إسنادها بقوله: «حدثنا»، يأتي بحكمه الاختياري مفتتحًا بقوله: «قال يحيى» ويجعل مبنى اختياره على المعنى اللغوي، والتخريج الإعرابي...».

الضابط الأول: صحة الاعتقاد

أول ما يشترط في المفسر المجدد أن يكون صحيح الاعتقاد، سائرًا على منهج أهل السنة(٥٣) والجماعة(٥٤)، سالكًا سبيلها، فهي الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية(٥٥)، الظاهرة على الحق، القائمة به، المستمسكة بهدي نبيها محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه ووالاه وهم الصحابة والتابعون، وأئمة الهدى المتبعون لهم بإحسان ممن تلقتهم الأمة بالقبول، ومن سلك سبيلهم وسار على هديهم في الاعتقاد والقول والعمل(٥٦).

يقول الطبري في مقدمة تفسيره: «... اعلم أن من شرطه (أي المفسر) صحة الاعتقاد أولًا ولزوم سنة الدين، فإن من كان مغموصًا عليه في دينه، لا يؤتمن على الدنيا، فكيف على الدين؟ ثم لا يؤتمن من الدين على الإخبار عن عالم، فكيف يؤتمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى؟ ولأنه لا يَؤمن- إن كان متهمًا بالإلحاد- أن يبغي الفتنة، ويغر الناس بليِّه وخداعه، كدأب الباطنية وغلاة

---

(٥٣) السنة في اللغة: الطريقة والسيرة، وفي اصطلاح علماء العقيدة: الهدي الذي كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه علمًا واعتقادًا وقولًا وعملًا، وهي السنة التي يجب اتباعها ويحمد أهلها، ويذم من خالفها، وتطلق السنة على سنن العبادات والاعتقادات، كما تطلق على ما يقابل البدعة، انظر لسان العرب ٢٢٥/١٣، وشرح العقيدة الطحاوية ٣٣، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية ٧٧.

(٥٤) الجماعة في اللغة: من مادة «جمع» وهي تدل على الجمع والإجماع والاجتماع وهو ضد التفرق، والجماعة: هم القوم الذين اجتمعوا على أمر ما، انظر لسان العرب مادة «جمع» ٨/٥٣-٦٠ والجماعة في اصطلاح علماء العقيدة هم سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وهم الذين اجتمعوا على الحق الصريح من الكتاب والسنة، انظر شرح العقيدة الواسطية ٦١، وشرح العقيدة الطحاوية ٣٨٢، ومسائل في العقيدة لابن عثيمين ٥٣.

(٥٥) لأهل السنة والجماعة أسماء أخرى، ومنها أهل السنة دون إضافة الجماعة، وأهل الجماعة، والسلف الصالح، وأهل الأثر، وأهل الحديث، وأهل الاتباع، انظر شرح الواسطية ٩-١٠، وشرح العقيدة الطحاوية ٥١٢، وذم التأويل للمقدسي ٣٣١.

(٥٦) انظر شرح العقيدة الطحاوية ٦١، ومسائل في العقيدة لابن عثيمين ٥٣، والمنتقى من شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢٣٥ وما بعدها، والعقيدة الواسطية لابن تيمية ١١٣ وما بعدها، ومعارج القبول شرح سلم الوصول لحافظ حكمي ١١٣ وما بعدها.

المبتدعة، وإن كان متهمًا بهوى لم يؤمن أن يحمله هواه على ما يوافق بدعته كدأب القدرية، فإن أحدهم يصنف الكتاب في التفسير، ومقصوده منه الإيضاح ليصدهم عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى[٥٧].

الأصول العامة لمعتقد أهل السنة والجماعة

ولعقيدة أهل السنة والجماعة أصول اعتقادية عامة يجب على المفسر أن يكون ملمًا بها، عارفًا لها وهي:

أولًا: مصادر عقيدة أهل السنة والجماعة هي القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، والإجماع المعتبر، أما الفطرة والعقل السليم فهما رافدان مؤيدان لا يستقلان بتقرير تفصيلات العقيدة وأصول الدين، فهما يوافقان الكتاب والسنة، ولا يعارضانهما، والوحي قد يأتي بما تحتار في إدراكه العقول، ولا يأتي بما يقطع باستحالته العقول.

ثانيًا: المرجع في فهم نصوص العقيدة الواردة في الكتاب والسنة هم الصحابة والتابعون، ومن اقتفى أثرهم من أئمة الهدى والدين.

ثالثًا: أصول الدين والعقيدة توقيفية، ومن اعتقد أنه يسعه الخروج عما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرع ودين فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه.

رابعًا: أمور العقيدة غيب، ومبناها على التسليم بما جاء من الله تعالى، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرًا وباطنًا، ما عقلناه منها وما لم نعقله، فمن لم يسلِّم فيها لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم لم يسلم دينه.

خامسًا: لا يجوز الخوض والجدل والمراء في العقيدة ونصوصها، لأنها غيب، إلا بقدر البيان وإقامة الحجة، مع التزام منهج السلف في ذلك[٥٨].

---

(٥٧) جامع البيان للطبري ١٨/١.

(٥٨) انظر الإبانة عن أصول الديانة للأشعري، ومنهاج السنة لابن تيمية ١٨/٣، ومجموع الفتاوى، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ١٨٠.

هذه هي أهم القواعد العقدية التي تحفظ فهم المفسر المجدد، وتكون له سياجًا من أن يذهب به تفكيره يمنة أو يسرة.

ولو نظرنا نظرة سريعة إلى مسيرة الحركة التفسيرية فإننا سنجد مدى أثر الضوابط الاعتقادية في سلامة المفسر وتفسيره، فلقد كانت صفحة التفسير في قرونها الأولى بيضاء نقية، وذلك حينما كان «يجري التفسير في زمن النبوة إلى زمن أتباع التابعين على طريقة تكاد تكون واحدة، وكل عصر يحمل تفسير من سبقه بطريق الرواية والسماع، وفي كل عصر تتجدد نظرات تفسيرية، وهذه النظرات لا تخرج عن كونها محاولات عقلية، ونظرات اجتهادية في حدود قانون اللغة، وإطار الشريعة، ولم تتجاوز دائرة الرأي المحمود إلى دائرة الرأي المذموم الذي لا يتفق وقواعد الشريعة.. ظل الأمر هكذا إلى أن ظهرت المذاهب المتنوعة» [٥٩].

ومع أنه لا خلاف بين أحد من المفسرين وغيرهم على أن العقائد والأحكام وأصول المعارف إنما تؤخذ من القرآن الكريم، وأن ما جاء في القرآن يسلِّم له الجميع ويستجيب له كل أحد[٦٠]،

مع ذلك، وجد من يحاول نصرة مذهبه من خلال إخضاع الآيات القرآنية له، والميل بها مع رأيه وهواه، وتأويل ما يصادمه منها بجعلها غير منافية لمذهبه، ولا متعارضة معه، ومن هنا بدأ الخروج عن دائرة الرأي المحمود إلى دائرة الرأي المذموم، واستفحل الأمر إلى حد جعل القوم يسعون في حماية عقائدهم، والترويج لمذاهبهم بما أخرجوه للناس من تفاسير، حملوا فيها كلام الله على وفق أهوائهم ومقتضى نزعاتهم ونحلهم[٦١]!

---

(٥٩) التفسير والمفسرون للذهبي ١/٣٦٤.

(٦٠) فصول في علوم القرآن، د.عدنان زرزور ص٢٣٨.

(٦١) التفسير والمفسرون للذهبي١/٣٦٥.

ولاشك أن هذا من أكبر أسباب الضلال وتنازع الزيغ ومصادر الانحراف عن سواء الصراط، أن يعمد أحدهم إلى تفسير القرآن ورأسه مشحون بأفكار وتصورات، وقلبه مؤمن بقضايا وتصديقات نشأ عليها في بلده، أو تلقاها عن شيخه، درج عليها طفلًا وشب عليها يافعًا، واستقر عليها رجلًا، واستمر عليها كهلًا، فهو يقرأ القرآن قراءة موجهة، فما وافق عقيدته وأفكاره- ولو بتكلف وتمحل- أبرزه وضخمه، وما لم يوافقه أسقطه وتناساه، وما كان مناقضًا في وضوح وصراحة تعسف في رده وتأويله! وذلك كتفاسير المعتزلة حينما حرروا عقائدهم وحرروا قضاياهم ثم حملوا ألفاظ القرآن عليها، الأمر الذي دفع ابن القيم إلى أن يقول عنها: «إنها زبالة الأذهان ونخالة الأفكار، وعفار الآراء، ووساوس الصدور فيملأون بها الأبدان سوادًا، والقلوب شكوكًا، والعالم فسادًا..»[٦٢]

وليس الأمر خاصًا بتفاسير المعتزلة ولا مقصورًا عليهم، بل ذلك موجود عند التفاسير المنحرفة كلها كتفاسير الخوارج، وغلاة المتصوفة، والباطنية وعموم الفرق المبتدعة. والمقام لا يتسع لذكر الأمثلة على ذلك، ولكن يكفينا أن نعلم أن فساد العقيدة يؤدي إلى انحراف التفسير من ناحيتين:

الأولى: اعتقاد المفسر لعقيدة أو لرأي ثم يحمل القرآن عليه ليستدل به على صحة مذهبه أو تأويله، لا سيما عند مصادقة النص القرآني لمعتقده[٦٣].

الثانية: أن فساد العقيدة يؤدي إلى انحراف الفهم وعدم سلامته عند النظر في الآيات والتأمل فيها فيلزم عنه فساد التفسير من باب اللزوم[٦٤].

ومن ثم فإنه «يستحيل أن يكون المفسر المجدد من غير الطائفة القائمة بأمر

---

(٦٢) كيف نتعامل مع القرآن؟ العظيم، د.يوسف القرضاوي ص٢٥٨.

(٦٣) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص٧٦.

(٦٤) بحوث في علوم القرآن، د.فهد الرومي ص٧٨.

الله، المتبعة لشرعه، السائرة على هدي نبيه»[٦٥]، ولذلك لما عد ابن الأثير[٦٦] بعض المبتدعة من المجددين في جامع الأصول[٦٧] رد عليه صاحب عون المعبود كلامه قائلًا: «ولا شبهة في أن عَدَّهم من المجددين خطأ فاحش، وغلط بيِّن...»[٦٨].

غير أن ما ينبغي لفت الأنظار إليه هو أن كون المفسر المجدد من أهل السنة والجماعة يعتقد معتقدهم، ويسلك منهجهم، ويقتفي أثرهم، لا يعني أن ينحصر هذا المجدد في مدرسة دعوية تسمت باسم معين «كالسلفية» أو «أهل الحديث»، لأنه يلزم عن ذلك خلع رداء الاتباع والسلفية عن سائر المفسرين المجددين الذين لم ينضموا تحت لواء هذه التجمعات الدعوية، أو ينتسبوا إلى فكرها، وهذا خلاف المنقول بالتواتر عن أهل العلم، فإن كل من قال بالكتاب والسنة والإجماع فهو من أهل السنة والجماعة، وأهل السنة هم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وليسوا فقط المشتغلين بعلوم الحديث أو المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته[٦٩].

يقول ابن تيمية: «... ولهذا وصف الفرقة الناجية بأنها من أهل السنة والجماعة وهم الجمهور، والسواد الأعظم، وأما الفرق الباقية فإنهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء.. وشعار هذه الفرق مفارقة الكتاب والسنة والإجماع، فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة»[٧٠].

ويقول النووي في حديثه عن الطائفة المنصورة: «وأما هذه الطائفة فقال

---

(٦٥) التجديد في الإسلام، د.البسطامي سعيد ص٣٣.

(٦٦) هو الإمام المحدث علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد، كنيته أبو الحسن، ولد سنة ٥٥٥هـ له مصنفات في علوم مختلفة أشهرها أسد الغابة في معرفة الصحابة، والكامل في التاريخ، توفي سنة ٦٣٠هـ، انظر البداية والنهاية ١٣/١٣٩ وتذكرة الحفاظ ٤/١٣٩٩ وشذرات الذهب ٥/١٣٧.

(٦٧) انظر ١١/٣٢٤.

(٦٨) عون المعبود ٤/١٨٠.

(٦٩) مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي، د.صلاح الصاوي ١٥٩.

(٧٠) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، د.فهد الرومي ص٢٨١.

البخاري: هم أهل العلم»، وقال أحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم، وقال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة[٧١]، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث، قلت: ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، فمنهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف، وناهون عن المنكر ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض[٧٢].

---

(٧١) انظر مجموع الفتاوى ٤/٩٥.

(٧٢) شرح صحيح مسلم للنووي ٧/١٨.

الضابط الثاني: الإحاطة بقواعد التفسير وأصوله

لا يخفى أن التجديد في التفسير يعد من أكثر المجالات صعوبة، ذلك أن المفسر المعاصر يترجم عن الله بقدر اجتهاده، ويتعامل مع كتاب الله المقدس، فالأمر ليس سهلًا بسيطًا، كما أنه يعد في حد ذاته شكلا من أشكال الاجتهاد، واستفراغا للجهد البشري في محاولة لتفسير القرآن، والتعامل معه في ظل معطيات العصر، وواقع الأمة، من خلال إبراز جوانب الهداية والإصلاح، وهذه المحاولة الاجتهادية تحتاج إلى علماء قد توافرت لديهم شرائط وأدوات النظر والتأمل، وأحاطوا بأصولهما وأسسهما، وقضاياهما ومسائلهما، وليس إلى أشباه مثقفين يجترئون على القرآن فيقولون فيه بغير علم، ويتحدثون بما لا يعرفون، دون أن يلموا بالحد الأدنى من قواعد التفسير وأصوله، فكتاب الله ليس مشاعًا يتحدث فيه كل من جرى على عقله خاطر أو لاح في نفسه معنى.

ومن ثم اشترط علماء التفسير في المفسر أن يكون «ملمًا بجملة من العلوم التي يستطيع بواسطتها أن يفسر القرآن تفسيرًا عصريًا مقبولًا، وتكون هذه الأدوات بمنزلة أدوات تعصم المفسر من الوقوع في الخطأ، وتحميه من القول على الله بدون علم»[٧٣].

وقد ذكر هذه العلوم السيوطي وهي تشتمل على «علم اللغة، لأنه لا يمكن أن يبين المفسر مفردات الألفاظ ومدلولاتها وهو يجهل اللغة العربية».

قال مجاهد: «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب وعلم النحو، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، وعلم الصرف وبواسطته تعرف الأبنية والصيغ والاشتقاق، لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما، وعلوم البلاغة والمعاني

---

(٧٣) التفسير والمفسرون للذهبي ١/٢٦٥-٢٦٦.

والبيان والبديع، وعلم القراءات، وأصول الدين وأصول الفقه وعلم أسباب النزول، وعلم القصص والناسخ والمنسوخ والأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم(٧٤).

ومن العلماء من دمج بعض هذه العلوم مع بعضها البعض فصارت أقل عددًا(٧٥)، وليس هذا العدد الذي ذكره السيوطي حاصرًا لجميع هذه العلوم التي يجب على المفسر الإحاطة بها، وإنما ذكرت هذه العلوم لأنها رأس العلوم الشرعية وأشهرها(٧٦).

(٧٤) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/ ١٨٠-١٨٢ باختصار.

(٧٥) انظر مناهل العرفان للزرقاني ٢/ ٥١.

(٧٦) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان ٢١٨.

الضابط الثالث: أن يكون المجدد ربانيًّا

والمقصود بكون المفسر ربانيًّا أن يتحلى بكمالات اليقين، ونوافل الطاعات، والترقي في مدارج السالكين، والابتعاد عن الشبهات والشهوات، والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، وهو لاشك قصور يعاني منه كثير ممن يتصدى للدراسات الإصلاحية والاجتماعية، حيث يظن البعض أن أمر الإصلاح والإرشاد متوقف على التحقيق العلمي والدراسات الأصولية، والتعمق في المباحث التفسيرية والعناية بالأحداث والمجريات. وهذا خطأ كبير، فإن الاقتصار على هذه المحاور العلمية لا يورث رقة في القلب، ولا حرارة في الإيمان، ولا لينًا في الطباع.

وبطبيعة الحال فإنه لا يقصد بالربانية الحد الأدنى الذي يثبت به عقد الإسلام، أو القدر اللازم لتحقيق الإيمان الواجب من فعل الواجبات واجتناب المحرمات، فإن هذا القدر لا نظن بأحد تعمد مخالفته أو نقضه، وإنما نقصد بها الكمالات الإيمانية التي يفتح الله بها على قلوب أصحابها- كالملازمة لخشيته تعالى ودوام مراقبته، ونبذ الخيلاء، والتحلي بالزهد والقناعة، والاشتغال بعمارة الظاهر والباطن- ما لم يفتحه على غيرهم.

قال الزركشي: «وإنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر، له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا، أو وهو مصر على ذنب أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق، أو يعتمد على مفسر ليس عنده علم أو راجع إلى معقوله، وهذه كلها حُجُب وموانع بعضها آكد من بعض[٧٧].

وقد جعل السيوطي التحلي بالربانية من أهم الأسباب التي يفتح الله بها على عباده من المشتغلين بالتفسير ما لم يفتحه على غيرهم ممن أهمل هذا الجانب.

---

(٧٧) انظر: البرهان للزركشي ٢/٥٣.

يقول رحمه الله: «علم الموهبة: وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم»[٧٨]، وقال: «... لعلك تستشكل علم الموهبة، ونقول هذا شيء ليس في قدرة الإنسان، وليس كما ظننت من الإشكال، والطريق إلى تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد»[٧٩].

ويتحدث سيد قطب عن أثر هذه الربانية للمفسر فيقول: «وهذه الربانية بمثابة السلاح للمفسر الذي يتحتم عليه ألا يستغني عنه، ولا يفرط فيه، وأن يستمسك به للحصول على هدى القرآن بكل ما تعنيه هذه الكلمة من حساسية في الضمير وشفافية في الشعور، وخشية مستمرة، وحذر دائم، وتوقٍّ لأشواك الطريق، وطريق الحياة الذي تتجاذبه أشواك الرغائب والشهوات، وأشواك المطامع، وأشواك المخاوف والهواجس وأشواك الرجاء الكاذب ممن لا يملك ضرًا ولا نفعًا، وعشرات غيرها من الأشواك»[٨٠].

وابن القيم قسّم الناس من حيث القوتين العملية والعلمية إلى أربعة أقسام:

قسم من وُصف بإدراك الحق وتمييزه.

وقسم لا بصيرة له ولا قوة على تنفيذ الحق وهم أكثر الخلق.

وقسم من له بصيرة في الهدى، ولكنه ضعيف لا قوة له على تنفيذه.

وقسم له قوة وهمة، ولكنه ضعيف البصيرة.

وبعد أن قسّم ابن القيم الناس إلى هذه الأقسام[٨١] قال: «... وليس من هؤلاء من يصلح للإمامة في الدين، ولا هو موضع لها سوى القسم الأول، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[٨٢]، فأخبر

---

(٧٨) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٨٠/٢.

(٧٩) المرجع السابق ١٨١/٢.

(٨٠) في ظلال القرآن، سيد قطب ٣٩/١.

(٨١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن قيم الجوزية ص١٣٨.

(٨٢) سورة السجدة الآية ٢٤.

سبحانه أنهم بالصبر واليقين بآيات الله نالوا الإمامة في الدين»[٨٣] إلى أن قال: «... فمن الناس من يكون له القوة العلمية الكاشفة عن الطريق ومنازلها وأعلامها وعوارضها ومعاشرها، وتكون هذه القوة أغلب القوتين عليه ويكون ضعيفًا في القوة العملية، يبصر الحقائق ولا يعمل بموجبها، ويرى المتالف والمخاوف والمعاطب لا يتوقاها، فهو فقيه عالم ما لم يحضر العمل.. وهذا هو الغالب على أكثر النفوس المشتغلة بالعلم... ومن كانت له هاتان القوتان استقام له سره إلى الله، ورُجي له النفوذ وقوي على رد القواطع والموانع بحول الله وقوته...»[٨٤].

ويقص علينا الشيخ أبو الحسن الندوي[٨٥] ما رآه في تنقلاته بالهند بين أحزاب دينية مختلفة، وكيف أنه عاد بانطباع واحد هو «أن أغلب الخطباء المفوهين البارعين يفتقدون إلى الربانية، الأمر الذي كان سببًا في عدم إيقاظ ركب السكران من غفوته أو إعادته إلى سواء السبيل»[٨٦].

وكان من جملة ما قال الندوي: «إن الربانية تحيي موات الأعمال، وتنفخ الروح في الجهود الاصلاحية والكفاح الاسلامي، وتملأه قوة وأملًا ونشاطا وعزًا، فترجع الروحانية إلى العبادات ويرجع النور إلى العلم، وترجع القوة والبركة إلى التعليم والتدريس، ويرجع التأثير إلى الخطابة والوعظ ويرجع القبول والقوة إلى الدعوة والإصلاح، ويعود التوفيق والنجاح وحسن العافية إلى الجهود السياسية»[٨٧].

---

(٨٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن قيم الجوزية ص١٣٩.

(٨٤) المرجع السابق ١٤٠.

(٨٥) «ولد أبو الحسن الندوي بالهند عام ١٣٣٢هـ، من أصل عربي، سافر إلى لاهور ثم إلى دلهي ثم إلى الحجاز ثم إلى مصر، اختير عضوًا مراسلًا في المجمع العلمي العربي بدمشق، من أعلام الصحوة الإسلامية المعاصرة، توفي سنة ١٣٤١هـ »، من تقديم أحمد الشرباصي وتعريفه بأبي الحسن الندوي في مقدمة كتابه المشهور «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟» ص١٧.

(٨٦) انظر ربانية لا رهبانية لأبي الحسن الندوي ٣٨.

(٨٧) المرجع السابق ٤١-٤٢ باختصار يسير.

وفي واقعنا المعاصر أدرك الناس أثر الربانية في دعاة الإصلاح والتجديد في زماننا، وقد ظهر أثرها، وآتت أكلها، وبان فضلها في مشروعهم الإصلاحي لأمتهم الإسلامية.

يقول الشيخ محمد عبده[٨٨] شيخ المجددين في العصر الحديث: «إنما يفهم القرآن، ويتفقه فيه من كان نصب عينه، ووجهة قلبه في تلاوته في الصلاة، وفي غير الصلاة، ما بيّنه الله تعالى فيه من موضوع تنزيله، وفائدة ترتيله، وحكمة تدبره من علم ونور وهدى ورحمة وموعظة وعبرة وخشوع وخشية وسنن في العالم مطردة، فتلك غاية إنذاره وتفسيره، ويلزمها- عقلًا وفطرة- تقوى الله تعالى بترك ما نهى عنه، وفعل ما أمر به بقدر الاستطاعة»[٨٩].

ويقول سيد قطب: «.. فلا بد لمن يريد أن يجد الهدى في القرآن أن يجيء إليه بقلب سليم خالص، ثم أن يجيء إليه بقلب يخشى ويتوقى ويحذر أن يكون على ضلالة أو تستهويه ضلالة، وعندئذ يتفتح القرآن عن أسراره وأنواره ويسكبها في هذا القلب الذي جاء إليه متقيًا خائفًا حساسًا مهيأً للتلقي...»[٩٠].

ولقد أصبح الدعاة يتمثلون -في ظلال القرآن- في واقعهم وحياتهم وجهادهم حتى صار الظلال من أشهر روافد الصحوة الإسلامية في الواقع المعاصر، كما أصبح هذا التفسير من أكثر الكتب الإسلامية المعاصرة انتشارًا في هذا القرن[٩١]، كما أنه تُرجم إلى العديد من اللغات الأجنبية مثل الإنجليزية والفرنسية والفارسية والتركية والأردية والإندونيسية وغيرها[٩٢].

---

(٨٨) هو الشيخ محمد عبده بن حسن خيرالله، ولد سنة ١٨٤٩م، كان مفتيًا للديار المصرية، من كبار رجال الإصلاح والتجديد في العصر الحديث، تصوف وتفلسف، كتب في الصحف، أجاد الفرنسية أصدر مع جمال الدين الافغاني «العروة الوثقى» له تفسير «المنار» ولم يتمه، توفي سنة ١٩٠٥م انظر الأعلام ٣ /١١٢

(٨٩) مجلة المنار، العدد ٢٨/ ٦٥٠.

(٩٠) في ظلال القرآن، سيد قطب ١/ ٣٩.

(٩١) مدخل إلى ظلال القرآن، د.صلاح الخالدي ص٥٥.

(٩٢) سيد قطب.. الشهيد الحي، د.صلاح الخالدي ص٦٠.

ويعود ذلك إلى أن صاحب الظلال عاش القرآن بروحه وفكره وشعوره وكيانه كله، عاشه لحظة لحظة، وفكرة فكرة، ولفظة لفظة، وأودعه خلاصة تجربته الحية في عالم الإيمان وكتبه بنفس ربانية، وروح إيمانية انعكست على الظلال وتأثيره في العالم الإسلامي بأسره على المستوى الفكري والحركي والأدبي، وذلك أنه ليست كل كلمة تبلغ إلى قلوب الآخرين فتحركها وتجمعها وتدفعها.. إنها الكلمات التي تقطر دماء، لأنها تقتات قلب إنسان حي.. كل كلمة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان.. إن أصحاب الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئًا كثيرًا، ولكن بشرط واحد.. أن يموتوا هم لتعيش أفكارهم، أن يطعموا أفكارهم من لحومهم ودمائهم.. أن يقولوا ما يعتقدون أنه حق، ويقدموا دماءهم فداءً لكلمة الحق، إن أفكارنا وكلماتنا تظل جثثًا هامدة حتى إذا متنا في سبيلها وغذيناها بالدماء انتفضت حية وعاشت بين الأحياء.

الضابط الرابع: أن يكون متسلحًا بالثقافة الإسلامية الأصيلة (٩٣)

إحاطة المفسر المجدد بالثقافة الإسلامية وإلمامه بها يجعلانه محيطًا بحجم التحديات المعاصرة- وأنواعها- التي تحاول أن تعرقل مسيرة الدين وأن تحد من انتشاره، وذلك من خلال دراسة المفسر للعلوم العصرية الجديدة التي أخذت تتطلب من المسلمين استخلاص الكائنات الفكرية من شتات التراث الإسلامي وتقديمها في بحوث مستقلة متكاملة ومقارنة لمواجهة التحديات العلمية الغربية، كأصول التربية في القرآن ومبادئ الصحة في القرآن، والمجتمع في القرآن والسياسة، والاقتصاد في الفكر الإسلامي ونحوها من الموضوعات والعلوم.

كما يجب أن تشتمل ثقافة المفسر على دراسة الشبهات التي أثارتها أقلام أرباب

---

(٩٣) الثقافة: كلمة ليست من الألفاظ القديمة الدائرة في كتب التراث، إذ لم نجد من علماء الإسلام الأوائل- على اختلاف تخصصاتهم- من ضبط تعريفًا حديًا مميزًا بالمعنى الاصطلاحي لكلمة «الثقافة» بل لا نكاد نجد للاصطلاح شيوعًا أو استعمالاً في كتب التراث الإسلامي، ولا ندري متى وكيف شاع هذا التعبير واطرد في الأوساط الإسلامية المعاصرة، وهل هو إطلاق غربي وفد مع عملية الاستيراد الفكري غير المنظم، أم أنه إطلاق غربي صرف صنعته تصورات المفكرين الغربيين فأطلقوا تسميته على أقسام الدراسات الإسلامية من دين، ولغة، وحضارة، أم هو إطلاق إسلامي مهجن صنعته تصورات المسلمين المتنورين الذين تأثروا بالدراسات الغربية وثقافتها ليميزوا العلوم الإسلامية من غيرها.. على كلٍّ فإنه ليس أمامنا إلا أن نقبل هذا المصطلح لأنه لا مشاحة في الاصطلاح، ولأن كلمة «الثقافة» لها أصل في لغتنا العربية، فالثقافة يدور معناها في المعاجم اللغوية على الحذق والفطنة والذكاء وسرعة التعلم وتقويم المعوج وتسويته، فيقال ثقف الصبي أدَّبه وعلمه، وثقَّف الشيء قوَّم اعوجاجه، أما في الاصطلاح فقد اختلفت تعريفات الثقافة، نظرًا للأساس الذي تُفسَّر عليه، فلقد عرفها البعض بأنها «العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها»، انظر لمحات في الثقافة الإسلامية، د.عمر الخطيب ٢٨-٣٢، أما من جعل العلوم الإسلامية أساسًا يدور عليه التعريف فإن الثقافة عنده مرادفة للدراسات الإسلامية، ومن جعل الثقافة علمًا جديدًا له موضوعاته الخاصة التي تميزه عن غيره كالحديث والتفسير، فالثقافة عنده ستكون أعم من الإسلام، كما قيل في تعريف الثقافة إنها «علم يبحث مقومات الحياة الإسلامية العامة المتعلقة بماضيها وحاضرها، والتي تتكون من الدين الإسلامي، واللغة والتاريخ والتراث والأرض والحكم والحضارة وأنماط السلوك وأساليب الحياة المشتركة والمتنوعة، ويعد هذا التعريف من أكثر التعريفات شيوعًا عند الباحثين الإسلاميين، انظر مبادئ الثقافة الإسلامية، د.لنبهان ١٣، وثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة، د.عبدالحليم عويس، ص١٦، ولمحات في الثقافة د.عمر الخطيب ١٣.

الغزو الثقافي الغربي وسدنتهم من زنادقة ومأجورين، فيما يتعلق بالمرأة وعملها، والرق، والوحي، والنبوة، والزواج، كما يجب على المفسر المجدد أن يقوم بدراسة التيارات الفكرية المنحرفة المعاصرة كالعلمانية والماسونية والشيوعية والرأسمالية والديموقراطية والصهيونية والصليبية والبهائية وغيرها من الدعوات المنحرفة، وبيان أخطارها والرد على شبهاتها والتحذير من انتشارها.

ويدخل في ثقافة المفسر إلمامه بالحركة التاريخية قبل الإسلام وبعده، وذلك أن «من نشأ في الإسلام ولم يعرف حال الناس قبله، ويجهل تأثير هدايته التي غيرت أحوال البشر، وكيف أنها كانت مخرجًا من الظلمات إلى النور، فقد يظن أن الإسلام أمر عادي لا جديد فيه، كما ترى بعض الذين يتربون في النظافة والنعيم يعدون التشديد في الأمر بالنظافة والسواك من قبيل اللغو، لأنه من ضرورات الحياة عندهم، ولو اختبروا غيرهم من طبقات الناس لعرفوا الحكمة في تلك الأوامر، وتأثير تلك الآداب من أين جاء ...»[٩٤].

ومن ثم يتعجب الشيخ محمد عبده ممن يجهل هذه الحركة التاريخية، وكيف تأثرت بالإسلام، ثم يريد أن يتصدى للقرآن مجددًا في تفسيره فيقول «أنا لا أعقل كيف يمكن لأحد أن يفسر قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [٩٥] وهو لا يعرف أحوال البشر، وكيف انحدروا وكيف تفرقوا، وما معنى تلك الوحدة التي كانوا عليها، وهل كانت نافعة أو ضارة، وماذا كان من آثار بعثة النبيين؟»[٩٦]

---

(٩٤) تفسير المنار رشيد رضا ٢١/١.

(٩٥) سورة البقرة الآية ٢١٢.

(٩٦) تفسير المنار رشيد رضا ٢٣/١.

إن الإحاطة بجوانب الثقافة تبلغ من الأهمية والخطورة بالنسبة إلى المفسر المجدد مبلغًا كبيرًا، فبدونها يكون المجدد منغلقًا على نفسه، لا يعرف واقع أمته ولا ما يعتريها من أمراض وما يحيط بها من خطوب وما يكتنفها من أخطار، لذلك كانت الثقافة الإسلامية علمًا مستقلًا مميزًا عن غيره من العلوم الإسلامية الأخرى، وهو علم جديد له موضوعاته الخاصة، وأسلوبه المتميز، وكتابه المتخصصون، جاء ميلاده وظهوره على أثر التحديات المعاصرة للإسلام والمسلمين(٩٧).

(٩٧) دراسات في الثقافة الإسلامية، مجموعة أبحاث- جامعة الكويت ص١٣.

ثانياً: ضوابط في عملية التجديد في التفسير

إن مسألة وضع ضوابط للتجديد التفسيري لا تقتصر على المفسر فحسب، بل يجب أن يوجد إطار عام لممارسة التجديد في التفسير ذاته، وذلك لأن الاقتصار على المفسر ووضع شروط له لا يضمن بالضرورة انضباط التجديد إذا لم يلتزم المفسر نفسه بمنهجية أصيلة تقوم على أصول راسخة، وقواعد ثابتة ينضبط بها التفسير المعاصر ويستقيم بها مبدأ التجديد، دون بروز نتوءات منهجية ووقوع أخطاء تفسيرية، فكم مر على مسيرة التفسير من علماء أجلاء توافرت فيهم شروط المفسر، ولكن- نظرًا لافتقادهم المنهجية الأصلية لمبادئ التجديد في التفسير- جانبهم الصواب وكانت لهم بعض السقطات والهفوات، الأمر الذي شوش كثيرًا على جهدهم الكبير ومحاولتهم الجادة في الارتقاء بمنهجية التفسير، وجعلها مسايرة لمستجدات الواقع، ومستحدثات العصر.

فلا يستطيع أحد إنكار إمامة الشيخ محمد عبده في التفسير، ولا المنازعة في علم الشيخ رشيد رضا، وفقّه الشيخ مصطفى المراغي، وغيرهم ممن انتسب لمدرسة المنار، ولا أن ينكر صحة اعتقادهم- في الجملة- وشدة حرصهم على الدين وتقطعهم حسراتٍ على حال أمتهم، وعلو كعبهم في الثقافة الإسلامية المعاصرة على من سواهم من علماء عصرهم، إلا أن افتقادهم للضوابط العامة في التعامل مع النص القرآني وفي ضوء معطيات الواقع المعاصر أوقعهم في بعض ما أخذه عليهم علماء التفسير كإعطاء العقل الحرية الواسعة لتأويل بعض الحقائق الشرعية التي جاء بها القرآن، والعدول بها عن الحقيقة إلى المجاز، والطعن في بعض الأحاديث مع ورودها في أصح كتابين بعد القرآن، وهما البخاري ومسلم، وعدم الأخذ بأحاديث الآحاد الصحيحة الثابتة في كل ما هو من قبيل العقائد...

إلى غير ذلك مما وقعوا فيه[٩٨].

ومن هنا تأتي أهمية وضع ضوابط عامة للتجديد التفسيري.

الضابط الأول: الجمع بين الرواية والدراية

لقد شهدت ساحة التفسير منذ زمن مبكر تجاذبًا بين اتجاهين أصيلين في التفسير، هما تفسير الرواية «المأثور الصحيح» وتفسير الدراية «الرأي المحمود»، ومعلوم أن تصادم الصحيح المنقول مع الصريح المعقول أمر محال في شريعتنا، وأن المسألة لا تعدو في نهاية الأمر أن تكون تغليبا لاتجاه على آخر، ولا تعني إقصاءً أو رفضًا للاتجاه الآخر.

ولا شك أن أقوم مناهج التفسير هو «ما مزج بين الاثنين وجمع بين صحيح المنقول، وصريح المعقول، وألف بين تراث السلف، ومعارف الخلف»[٩٩]، ذلك أنه لا يمكن بحال أن يستغني اتجاه عن الآخر، فلا يتأتى أبدًا الاستغناء بالمنقول عن التفسير بالرأي؛ لأنه- كما يقول الشوكاني في مقدمة تفسيره- «لا يتيسر في كل تركيب من التراكيب القرآنية تفسير ثابت عن السلف، بل قد يخلو عن ذلك كثير من القرآن، هذا بالإضافة إلى أن الذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيره للقرآن آيات قليلة، ولا يختلف على ذلك اثنان، كما لا يمكن إهمال سائر المعاني التي تفيدها اللغة، ولا إهمال ما يستفاد من العلوم التي تأتي بها دقائق العربية وأسرارها كعلم المعاني، والبيان والتفسير بذلك تفسير باللغة ليس بمحض الرأي المنهي عنه.. وبهذا نعرف أنه لابد من الجمع بين الأمرين وعدم الاقتصار على مسلك أحد الفريقين[١٠٠].

---

(٩٨) انظر منهج المدرسة العقلية في التفسير، د.فهد الرومي، والتفسير والمفسرون للذهبي٢/٥٤٩ وما بعدها، ومباحث في علوم القرآن، د.فهد الرومي ص٦٧.

(٩٩) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ٤٥، كيف نتعامل مع القرآن؟؟ د.يوسف القرضاوي ص٢١٧.

(١٠٠) انظر فتح القدير للشوكاني ١٢/١ وما بعدها باختصار.

ولقد سار على هذا المنهج أغلب الأئمة والمفسرين، حتى أولئك الذين عرفوا بأنهم من أئمة التفسير بالمأثور كالطبري الذي جمع بين الاتجاهين من خلال سرده للروايات والأقوال، ثم مناقشتها والموازنة بينها، ثم يضعّف أو يصحّح ما بدا له أو يضيف فهمًا جديدًا للآية، كذلك كان منهج الحافظ ابن كثير والقرطبي، ومن المتأخرين الشوكاني، مع وجود فروقات طفيفة بينهم(١٠١).

غير أنه يشترط في جانب التفسير بالرأي أن يجري على القواعد العلمية الموضوعة له، وهي الأخذ بمطلق اللغة العربية، مع مراعاة السياق الذي وردت فيه اللفظة أو الجملة القرآنية، وملاحظة أسباب النزول، واعتبار القرآن أصلًا يرجع إليه(١٠٢)، وتقديم المعنى الشرعي على اللغوي عند النزاع(١٠٣)، كما يشترط في الخواطر والاجتهادات التفسيرية أن تجري على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب، وأن يكون لها شاهد نصًا(١٠٤) وألا يكون الاجتهاد بعيدًا سخيفًا(١٠٥).

الضابط الثاني: الموازنة في الاعتماد على النقل والعقل

يمكن الموازنة في الاعتماد على النقل والعقل من خلال إعطاء العقل دوره الذي كرمه به الشرع، وعدم إعطائه الحرية الكاملة ليتعاطى مع النصوص قبولًا ورفضًا، اعتمادًا على قياساته ومنطقه، فإن العقول تتفاوت، وما يقبله هذا العقل ويقر به

---

(١٠١) الحافظ ابن كثير يقارب منهجه منهج الطبري وإن لم يبلغه في استيعاب الأقوال، وإن كان لابن كثير مزية انضباط منهجه في التفسير بما قرره شيخه ابن تيمية بأن أفضل طرق التفسير تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة ثم التابعين، والقرطبي يجمع بين الطريقتين وإن كان أقرب إلى الرأي، والشوكاني جمع بين الطريقتين وقال في مقدمة تفسيره «... وبهذا تعرف أنه لا بد من الجمع بين الأمرين وعدم الاقتصار على مسلك أحد الفريقين» انظر فتح القدير ١٣/١.

(١٠٢) انظر مباحث في علوم القرآن، د.صبحي الصالح، مدخل إلى تفسير القرآن، عدنان زرزور، ص١٣ وعلوم القرآن الكريم، نورالدين عتر ص١٨٠، والتفسير والمفسرون ٨٥/١ ومناهل العرفان للزرقاني ٨٥/٢.

(١٠٣) بحوث في أصول التفسير، د.فهد الرومي ص١٤٥.

(١٠٤) مناهل العرفان للزرقاني ٨٣/٢.

(١٠٥) المرجع السابق ٢٩٥/٣.

قد يرفضه آخر وينكره، فلقد خلق الله العقل ووهبه قدرة على التفكير والتمييز، ولكن هذه القدرة - كشأن قدرة أي قدرة عند الإنسان- محدودة ومقيدة.

ومن ثم فلا يجوز لإنسان أن يحكّم عقله أو يعطيه الصلاحية المطلقة للحكم على النصوص قبولًا أو رفضًا لمجرد عدم قناعته، فإنه لا ينكر أن العقل مناط التكليف، وأنه شرط في معرفة العلوم وصلاح الأعمال، ولكنه لا يستقل بذلك، بل لا بد له من نور من الوحي، لأنه غريزة في النفس، وقوة فيها بمنزلة قوة البصر من العين، كما أن المسلم يعتقد دومًا أنه لا يمكن لصحيح المنقول أن يتعارض مع صريح المعقول بوجه من الوجوه، فإن حدث ما يوهم ذلك كان لظنية أحد الأمرين ثبوتًا أو دلالة، فإما أن يكون النص ظنيًا في ثبوته أو دلالته، وإما أن يكون العقل موهومًا أو لم يبلغ بعد درجة اليقين... والشريعة لا تأتي بما يُعلم بالعقل امتناعه ولكن قد تأتي بما يعجز العقل عن إدراكه[١٠٦]، أما إذا كان الدليل النقلي قطعيًا في ثبوته ودلالته فإنه لا يجوز تأويله وصرفه عن ظاهره إلى المجاز أو التمثيل، خوفًا من مجرد الاستغراب أو التكذيب أو قياسًا على قدرة البشر، حتى وصل الأمر إلى رد بعض الأحاديث الصحيحة الواردة في الصحيحين كما حدث عند المعتزلة وتأثرت بذلك مدرسة المنار إلى حد بعيد[١٠٧].

ولأن أشد ما تتعرض له النصوص خطرًا سوء التأويل، فإنه يجب على المفسر المجدد أن ينضبط بقواعد وأصول التأويل عند أهل السنة، ومنها أن الأصل في الكلام أن يُحَمل على ظاهره، إلا إذا جاءت قرينة توجب صرفه عن المعنى الأصلي، وأن هذا الصرف لا بد أن يحتمله اللفظ، ولو كان احتمالًا مرجوحًا، كما أنه لا بد أن يقوم دليل على صرف الكلام الراجح إلى المرجوح، لأن ترك الاحتمال

(١٠٦) انظر درء تعارض صحيح المنقول مع صريح المعقول لابن تيمية ٨٠، والموافقات للشاطبي ٢/٣٠.

(١٠٧) بحوث في أصول التفسير، د.فهد الرومي ص١٧٥.

الراجح إلى الاحتمال المرجوح لا يجوز إلا بدليل[١٠٨]... إلى غير ذلك من القواعد التي صنفها وتحدث فيها الأصوليون قديمًا وحديثًا[١٠٩].

الضابط الثالث: عدم الشرود عن إجماع الأمة

ويقصد بذلك عدم شرود المفسر ومجافاته لما انعقد عليه إجماع الأمة من قطعيات وثوابت، والقطعيات ومواضع الإجماع هي التي أقام الله بها الحجة البيّنة في كتابه، أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا مجال فيها لتطوير أو اجتهاد، ولا يحل الخلاف فيها لمن علمها[١١٠]، ومجال هذه الثوابت أو مواطن الإجماع في أغلب مسائل الاعتقاد[١١١]، وأصول الفرائض، وأصول الأخلاق، وأصول المحرمات[١١٢]. فهذه الأمور لا يحتاج الناس إلى تغيرها بل يحتاجون إلى ثباتها واستقرارها، لتستقر معها الحياة، وتطمئن العقول والقلوب[١١٣].

فيجب على المفسر المجدد أن يحافظ على هذه الثوابت والقطعيات، لا أن ينتقدها وينكرها ثم يخرج علينا بمنهج يشذ به عن منهج الأمة كلها، ويخطِّئها فيما أجمعت عليه خلال أربعة عشر قرنًا، ويحكم بالضلال على الراسخين والربانيين

---

(١٠٨) كيف نتعامل مع القرآن؟، د.يوسف القرضاوي ص٢٨٥.

(١٠٩) المقام لا يتسع للحديث عن التأويل، فهو باب كبير ومتشعب، ويمكن الرجوع إلى مجموع الفتاوى ٢٨٥/٨ وما بعدها، والمحصول للرازي، وإرشاد الفحول، وسلم الثبوت مع شرحه فواتح الرحموت المطبوع مع المستصفى ٢٢/٢ وما بعدها، وأصول الفقه لمحمد أبو زهرة، والبرهان في أصول الفقه لابن الجوزي ٨٠، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية.

(١١٠) الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي، د.صلاح الصاوي ص٣٣.

(١١١) قلت «أغلب» لأن المتتبع للمسائل الخلافية عن السلف- رحمهم الله تعالى- يجد فيها بعض المسائل العقدية، وإن كان ذلك قليلًا كالخلاف حول صفة الكرسي، وأيهما أسبق الميزان أم الحوض، ومسألة رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج، وتعذيب الميت ببكاء أهله عليه والتوسل بالأنبياء والصالحين، انظر الاختلافات العلمية، د.أبو الفتح البيانوني ٣٣، وقال ابن حزم: «وأكثر افتراق أهل السنة في الفتيا، ونُبذ يسيرة من الاعتقادات» انظر الفصل في الملل والنحل ١١١/٢، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ١٩/١٢٢-١٢٣، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي٢٥٠،٢٠٩،١٩٣،١٨٦.

(١١٢) انظر بينات الحل الإسلامي، القرضاوي ص٧٧ والثوابت والمتغيرات، د.صلاح الصاوي ٣٤.

(١١٣) بينات الحل الإسلامي، د.يوسف القرضاوي ص٧٨.

من علمائها وفقهائها، ابتداء من الصحابة فمن بعدهم، مدعيًا أنه أتى بما لم يأت به الأوائل، واكتشف ما غاب عن الخلفاء الراشدين وعن الأئمة المجتهدين، والعباقرة المحققين، وبحور الرواية والدراية وكواكب المعرفة والهداية، وشوامخ النبوغ والأصالة الذين حفل بهم تاريخ هذه الأمة[١١٤].

بقي أن ننتبه إلى أمر تربوي خطير، هو تجنب اتهام علماء الأمة السابقين بالجهل والتخلف، لأنه في غمار التجديد في التفسير واكتشاف الجديد والحديث في مجالات العلوم والفنون مما ينفع الله به عباده، قد يدفع ذلك بعض المعاصرين إلى الاغترار والامتنان بما جاء على أيديهم من جديد، فيصل الأمر إلى التنقيص والحط من شأن ما سطره علماء التفسير السابقون، ورميهم بالتعالم في مجالات لم يحسنوها ومبادئ لم يتقنوا العمل في مضمارها.

والحق أن التجديد في التفسير ينبغي أن يجري في إطار التقدير والاحترام لجهود السابقين وتفهم ظروفهم وأحوالهم التي كانوا يتعاطون خلالها مع القرآن، ووقوع بعض الهفوات من بعض المفسرين فيما يتعلق بقضايا الفلك والطب والبحار لا يعني أن نصادر كل تراثهم التفسيري وأن نلغيه ونرميه بالجهل والتخلف، بل ينبغي أن يُنظَر فيما أتوا به، فإن كان متعارضًا مع الجديد، فهذا هو اجتهادهم في ظل ما توافر لديهم من مكتشفات وعلوم، ثم يُغمَر هذا الخطأ في بحر فضلهم وعلمهم، وإن كان ما قالوه لا يصطدم بما اكتشف وظهر فإنه يُستأنس به ويضاف إلى الجديد، فلقد تقرر في حس كل مسلم أن القرآن لا تنقضي عجائبه ولا تنفد كنوزه وأسراره، والله تعالى يفتح على عباده في فهم كتابه ما شاء، ولمن شاء.

---

(١١٤) كيف نتعامل مع القرآن؟ د.يوسف القرضاوي ٣٥٣.

ثالثاً: معالم رئيسة للتجديد التفسيري

إبراز الغرض الأساسي من نزول القرآن

لا يخفى أن الغرض الأول والأساسي الذي من أجله أُنزل القرآن هو الهداية والإرشاد وإصلاح البشرية[١١٥]، وتحقيق ما يجلب لها سعادتها ويحقق لها مصلحتها في العاجل والآجل[١١٦]، فهداية القرآن أساس دعوته وأصل أصوله، وعنها تفرعت آدابه وشرائعه، وبها قامت أركان علومه ومعارفه، وعلى دعائمها نهضت حكمته وأحكامه، وهي دروس في التربية للأفراد والجماعات والأمم والشعوب، لأنها الحق الذي نزل به القرآن وإليه قصد، والتنبه لهداية القرآن العامة في جميع جوانب الحياة والكشف عنها هما وسيلتا الإصلاح والتجديد في الأمم[١١٧].

والناظر إلى كتاب الله لا يجد جهدًا في إدراك هذه الآيات الكثيرة التي تظاهرت على إبراز هذا المعنى وتقريره لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ففي أم الكتاب، وفي صدر المصحف وفي كل الصلوات ليس للعبد إلا دعاء يلح فيه على ربه، ويسأله إياه بعدد تكرار الركعات:

---

(١١٥) يقول الطاهر بن عاشور «المقصد العام من التشريع ونزول القرآن هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو نوع الإنسان، ويشمل صلاحه صلاح عقله وصلاح عمله وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه» انظر مقاصد الشريعة الإسلامية للطاهر بن عاشور ص١٤٨، وقال الزرقاني «.. فإنا نقفك على أن لله تعالى في إنزال كتابه العزيز ثلاثة مقاصد رئيسة، الأول أن يكون هداية للثقلين، والإعجاز، وأن يتعبد الله خلقه بتلاوته» انظر مناهل العرفان٢/١٢٣ وما بعدها.

(١١٦) انظر الموافقات للشاطبي ٥٨/١، ومجموع الفتاوى ٧١/٨، ومنهج أهل السنة ٣٠/٢.

(١١٧) اتجاهات التجديد في مصر في العصر الحديث د.إبراهيم الشريف ص٢٥٠.

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [118]، وقوله تعالى ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [119].

وقوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحًا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورًا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾ [120]، فحري لمن أراد أن يجدد للأمة نظراتها إلى كتاب ربها وهو يرى ما تعانيه، وما وقع لها من مصائب ونكبات لمجافاتها لهدي ربها وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، حري به، أن يشتغل في ليله ونهاره بقلمه ولسانه لإبراز جانب الهداية في القرآن ولفت أنظار الناس إليه، وبيان أن الأمة إذا كانت جادة وعازمة على أن تعود لسابق عهدها، فلا بد لها أن تعود إلى القرآن وتتلقاه قاصدة هدايته، وطالبة طمأنينته، وراغبة في رشده، على نحو ما تلقاه الصحابة وتابعوهم وتابعو تابعيهم، فلقد تلقاه هؤلاء بنفسية الضال الذي يتشوف إلى الهداية، وبعقلية الشقي الذي يسعى إلى السعادة، وبروحٍ باحثةٍ عن الحق منقبة عنه، أخذوا الدين من ينابيعه الصافية قبل أن تعكر نقاءه الشوائب، وتشوه جماله البدع القولية والعملية التي صنعتها الأهواء والجهالات والفلسفات.

ولقد كان هذا المقصد- مقصد الهداية- غير خافٍ على من تناول القرآن في القرون الماضية من أئمة التفسير، غير أن المحيط الذي كان يحياه المسلمون آنذاك- على تفاوت بين العصور- كان جوًّا إسلاميًّا في الجملة، وصور الفساد أو المخالفات الشرعية كانت قليلة، ولا تخرج عن كونها شطحات وزلات يقع فيها أفراد المجتمع باعتبار بشريتهم، وينظر المجتمع إلى هذه المخالفات نظرة إنكار واستهجان، وسرعان ما تتلاشى أو تذوب، ولم تكن هذه الانحرافات تشكل

---

(١١٨) سورة الفاتحة الآية ٦.

(١١٩) سورة إبراهيم الآية ٢.

(١٢٠) سورة الشورى الآيتان٥٢، ٥٣.

ظاهرة تستدعي الوقوف أمامها أو التأمل فيها كثيرًا، ومن ثم كان المفسر يلعب دور «المثقف» على حد تعبير د.زرزور[١٢١]، أما الآن وفي واقعنا المعاصر فإن الأمر أصبح مختلفًا بعد أن وقع المسلمون تحت سيطرة الاستعمار الفكري والثقافي والإعلامي ولا سيما بعد مجيء عصر العولمة[١٢٢]، إذ الشريعة مغيبة بل ويتهمها أعداء الله بالتخلف والظلامية بعدما استُبدلت بشرائع بشرية، والناس متهالكون متقاتلون على دنياهم، والدين يهاجَم تارة من المستشرقين، وتارة من العلمانيين، وثالثة من أبناء جلدته، هذا بالإضافة إلى صور الانحراف الفقهي والأخلاقي والاجتماعي والفكري الناتجة عن الشعور بالهزيمة النفسية.

هذا الحال الذي وصل إليه المسلمون يدعو المجددين من علماء التفسير ويلح عليهم من أجل الاتصال بكتاب الله بأسلوب مختلف عن الطريق التقليدي المعهود في التفاسير القديمة، من خلال إبراز جوانب الهداية والصلاح والرشد، على

---

(١٢١) انظر مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، د.عدنان زرزور ص٢١٨.

(١٢٢) تعرف العولمة بأنها «تكثيف العلاقات الاجتماعية عبر العالم حين ترتبط الأحداث المحلية المتباعدة بطريقة تبدو كما لو كانت تتم في مجتمع مجتمع واحد» (مجلة المجتمع العدد ١٣٠٧)، وكثير من تعريفات العولمة يدور حول معنى «الظاهرة التي تتداخل فيها أمور الاقتصاد والسياسة والثقافة والاجتماع والسلوك، ويكون الانتماء فيها للعالم كله عبر الحدود السياسية الدولية، وتحدث فيها تحولات على مختلف الصُعد تؤثر على حياة الإنسان في كوكب الأرض أينما كان، ودون اعتناء بذكر الحدود السياسية للدول ذات السيادة، أو انتماء إلى وطن محدود أو لدولة معينة ودون الحاجة إلى إجراءات حكومية» انظر تفاعلات حضارية وأفكار للنهوض، د.أحمد صدقي٣٣، ولخص الكاتب السيد ياسين مستشار مركز الدراسات السياسة والاستراتيجية في الأهرام تعريف العولمة ووصفه لها في ثلاث عمليات تكشف عن جوهرها: الأولى تتعلق بانتشار المعلومات بحيث تكون مشاعة لدى الناس، والثانية تتعلق بتذويب الحدود بين الدول، والثالثة تتعلق بزيادة معدل التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات، انظر العولمة ظاهرة وتعريف، د.عدنان الكاظمي، مقال بجريدة القبس الكويتية بتاريخ ١٩٩٩/٨/٥م، وإذا كان الاختلاف هو السمة السائدة في تعريف العولمة، فإن الاتفاق في مفهومها ومدلولها هو الأصل، فقد اتفق الجميع على أن العولمة تعني الثقافة الواحدة التي لا تعترف بخصوصية اجتماعية أو دينية أو شرعية أو اقتصادية، وإذا كانت السيادة لا بد أن تكون للأقوى فإن القوة والريادة هي سمة الحضارة والثقافة الغربية، الأمر الذي يعني سيادة ثقافة التغريب والهدم والإمبريالية، فالعولمة مصطلح ظاهره الرحمة وباطنه فيه الهلاك الشديد، وهي الاسترقاق الكلي العصري ولكن تحت غطاء شريف وشعار براق مكذوب، انظر العولمة.. الحقيقة والأبعاد، د.فتحي يكن ص٤.

نحو ما تناوله الشيخ محمد عبده في محاولته التجديدية في تفسيره المنار حين قال في مقدمته «... والأمة في حاجة شديدة إلى تفسير تتوجه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن، على الوجه الذي يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة في وصفه وما أنزل لأجله من الإنذار والتبشير والهداية والإصلاح»[١٢٣] إلى أن يقول «... وإننا نعتقد أن المسلمين ما ضعفوا وما زال ما كان لهم من الملك الواسع إلا بإعراضهم عن هداية القرآن، وأنه لا يعود إليهم شيء مما فقدوا من العز والسعادة والكرامة إلا بالرجوع إلى هدايته والاعتصام بحبله.. وبالشكر تدوم النعم، وكفرها مجلبة النقم، ولذلك أرشدنا الله في فاتحة كتابه إلى الدعاء بأن يهدينا صراط المنعم عليهم من الشاكرين[١٢٤].

ويقول سيد قطب في مقدمة ظلاله «... والرجوع إليه- كما يتجلى في ظلال القرآن- له صورة واحدة، وطريق واحد.. واحد لا سواه.. إنه العودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذي رسمه للبشرية في كتابه الكريم.. إنه تحكيم هذا الكتاب وحده في حياتها والتحاكم إليه وحده في شؤونها»[١٢٥].

ومن خلال إبراز المقصد الأول من نزول القرآن والاهتمام بتقريره، وتأكيده في النفوس تستطيع الأمة أن تنشئ جيلًا قرآنيًا راشدًا يتربى على نور من الله، بعيدًا عن النزاعات الفلسفية، والخلافات المذهبية التي التصقت بفهم القرآن[١٢٦].

مقاومة الغزو الفكري

ينبغي على المفسر المجدد أن يضع نصب عينيه ما يوجه إلى أمته من حملات غزو فكري يستهدف معتقداتهم وتصوراتهم وأخلاقهم، ويكون كل همه أن يواجه هذه الهجمات الفكرية والعلمية، منطلقًا من القرآن ومتسلحًا بالأدلة العلمية،

---

(١٢٣) مجلة المنار ٢٨/ ٦٥٠ ومقدمة تفسير المنار ١/ ١٥.

(١٢٤) تفسير المنار ١/ ١٦.

(١٢٥) في ظلال القرآن، سيد قطب ١/ ١٥.

(١٢٦) مدخل إلى علوم القرآن، د.مصطفى مسلم ص١٥٠.

والحقائق الشرعية ليرد هذا الغزو ويفند شبهاته، ويثبت بطلانها، ويظهر عوارها، ويفضح مكرها، ويكشف أهدافها التي تدور حول إبعاد المسلمين عن إسلامهم مصدر عزتهم، وقوتهم وحضارتهم.

ومقاومة هذا الغزو الفكري ليست مسألة سهلة، وإنما تحتاج إلى إدراك جيد لهذه التحديات التي يواجهها الفكر التفسيري خلال حركته الإصلاحية كالتحديات العقدية(١٢٧)، والاجتماعية(١٢٨) والإعلامية(١٢٩).

إبراز جوانب الإعجاز العلمي

لقد تقرر في عقيدة كل مسلم أن كتاب الله باقٍ وصالح لكل زمان ومكان، وأن ما فيه من هدى للناس إنما يقوم على العقل والعلم الذي ينفع الناس، وأنه كلما انتشر العلم بين النابغين انتشرت دعوة القرآن، لأنه سيدرك حينئذ أن خالق هذا الكون هو منزل هذا القرآن، فكلما ازداد العالم معرفة بما في الوجود من أسرار وقوانين وحقائق، ازداد معرفةً بالله، ويقينًا بكتابه.

---

(١٢٧) التحديات العقدية تشمل حملات تشويه القرآن والتشكيك فيه، فلقد واجه القرآن ومنذ نزوله وإلى يومنا هذا ما لا يحصى ولا يعد من هجمات الطعن فيه، الأمر الذي يكشف مدى اهتمام أعداء الإسلام بالقرآن والحط من شأنه، لأنه هو الذي يحفظ للمسلمين دينهم وشريعتهم، فقد وقف رئيس وزراء إنجلترا في مجلس العموم البريطاني وهو يحمل المصحف في يده ويقول «مادام هذا الكتاب باقيًا في الأرض فلن يقر لنا وجود في الشرق، بل نخشى من خطر على وجودنا في بلادنا، لذلك لا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به». انظر كتاب دمروا الإسلام.. أبيدوا أهله ص١٨٠.

(١٢٨) التحديات الاجتماعية تشمل:

١- حالة الهزيمة النفسية التي يحياها المسلمون، وذلك بعد أن نجح دعاة التغريب في إقناع الكثيرين بأن الغرب سلك طريق التقدم والحضارة حينما انفصل عن الدين وعاش حرًا بلا رقيب ولا شهيد، الأمر الذي ولّد إحساسًا بالصَّغار والذل لدى كثير من المسلمين.

٢- إخراج المرأة المسلمة من العمل في إطار رسالتها الأصلية وعولمة جسدها، وذلك عن طريق ما أطلق عليه «تحرير المرأة» من خلال الدعوة إلى القضاء على الحجاب والمناداة بحقوقها، ومنع الزواج بأكثر من واحدة وتمييع الثوابت الأخلاقية والقيمية. انظر أصالة الفكر الإسلامي، أنور الجندي ص٢١٥.

(١٢٩) زاد حجم التحديات الإعلامية بعد انتشار الفضائيات وشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) والدور الذي أنيط بهذه الشبكة في تسويق العولمة، وإزالة الحواجز الدينية، والاجتماعية والأخلاقية بين الشعوب، هذا بالإضافة إلى الأنماط السلوكية الغربية كالإباحية وثقافة الجنس ومواقع التبشير والطعن في الدين. انظر الإنترنت والإسلام، أحمد طعيمة ص١٥، والثقافة الإسلامية وتحديات العولمة للباحث ص١٩.

يقول الشيخ **محمد عبدة**: «فإن الكون المنظور أعظم تفسير للكون المقروء»[١٣٠].

ومن ثم كان على المفسر المجدد أن يُبرز هذا التلازم والاقتضاء، ولا يتم ذلك إلا من خلال الاعتناء بالمعطيات العلمية وربطها بالقرآن، وذلك في ضوء الضوابط العلمية للتفسير العلمي.

يضاف إلى ذلك أن إظهار جوانب الإعجاز العلمي يقمع مزاعم القائلين بوجود عداوة بين الدين والعلم، فالقرآن يشتمل على كثير من أمور العالم الكونية والاجتماعية، وكثير من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن معروفة وقت نزوله، ثم عرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون وتاريخ البشر وسنن الله في الخلق، دون أن يحدث تصادم بين آيات الله وما تحقق كشفه من حقائق علمية أو فلكية[١٣١].

وهناك أمر ثالث يوجب على المجدد أن يضع في اعتباره هذا اللون من التفسير عند الحديث عن الآيات المتعلقة بالكون وأسراره ولطائفه، وهو أن الإنسانية كلها مخاطبة بالقرآن، مطالبة بالتسليم بأنه كلام الله وحجة الله عليها، وموطن الحجة إعجازه، وعدم قدرة البشر على الإتيان بمثله، ولما كانت الإنسانية أعاجمها أكثر من عربيها فلا بد أن يكون إعجاز القرآن لكل إنسان- ولو كان أعجمي اللسان- لتلزمه الحجة إن هو أبى الإسلام، والطريق لإلزام عقله وقلبه هو العلم وقانونه، لذا لزم إلزامه بما ألزم به نفسه، كما أعجز القرآن العرب وتحداهم بكل أشكال التحدي بفصاحة القرآن وبلاغته، فكان إثبات الإعجاز من جنس ما يعرفون، بل يوقنون، به صدق القرآن[١٣٢].

---

(١٣٠) تفسير المنار ٢/٢١٥.

(١٣١) الدين والعلم، د.مصطفى الزهراني ٦٧.

(١٣٢) اتجاهات التجديد في مصر في العصر الحديث، د. إبراهيم الشريف ٦٩٩.

ومن ثم يصبح الحديث عن الإعجاز العلمي وإبرازه طريقًا أمثل وسبيلًا عصريًا في تبليغ دعوة الإسلام وإثبات إعجاز القرآن، وأنه تنزيل من حكيم حميد في عصر لا تكاد تؤمن فيه الشعوب بغير العلم، ولا تقاس فيه الأمم إلا بما أحرز أفرادها من ثقافات، وما جمعوا من معرفة، وهو الوسيلة الوحيدة الكافية لإقناعهم بالقرآن، وأنه لا عداوة بين العلم والدين، ولا سيما أن حديث العلم هو القول الفصل الذي لا يستطيع أي مكابر أن يجادل معه أو يشك[١٣٣].

غير أنه إيمانًا بأهمية دور التخصص، وتجنبًا لمحاولات فجة لا تلتزم بشروط التفسير العلمي وقواعده المعروفة عند علماء التفسير، فإنه ينبغي أن يُقتَرح إطار تتم من خلاله مسألة التعرض لإعجاز القرآن دون إفراط قد يؤدي إلى إحراج النص القرآني، ولا تفريط يخل بمقاصده المرادة في آيات الآفاق والأنفس، والإطار المقترح هو أن «يتعاون في تفسير القرآن العالمون بأسرار التشريع وفقه القرآن الكريم وبلاغته، والعلماء المتخصصون في مختلف العلوم، حتى يمكن أن نقول إننا قمنا بما يفرضه علينا القرآن من استخدام العقل والانتفاع بنتائج البحث والنظر في خلق الله العجيب لبناء صرح إيمان قوي ثابت يجمع فيه المؤمن بين التدين والتسليم من جهة، والعلم والمعرفة من جهة أخرى»[١٣٤].

---

(١٣٣) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، د.فهد الرومي ٢/٥٤٩.

(١٣٤) اتجاهات التجديد في مصر في العصر الحديث د.إبراهيم الشريف ٦٥٧.

تدورُ مادَّةُ «نَبَطَ» على أصلٍ واحدٍ، وهو استخراجُ شيءٍ[١٣٥]، والألف والسين والتاء في استنبط تدلُّ على تطلُّبِ الشيءِ لأجلِ حصولِه، وكأنَّ فيها معنى التَّكلُّفِ في إعمالِ العقلِ الذي يحتاجُ إليه المستبطُ حال الاستنباط.

قال الطَّبريُّ: «وكلُّ مستخرج شيئًا كان مستترًا عن العيون أو عن معارف القلوبِ، فهو له مستنبطٌ، يقال: استنبطتُ الرَّكِيَّة إذا استخرجت ماءها»[١٣٦]، وقال الصَّغانيُّ: «وكلُّ شيءٍ أظهرته بعد خفائه فقد أنبطتَه واستنبطتَه، وقوله تعالى ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ أي يستخرجونه ويقال: استنبط الفقيه إذا استخرج الفقهَ الباطنَ بفَهْمِه واجتهادِه»[١٣٧].

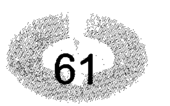
الاستنباطُ ربط كلام له معنى بمدلول الآيةِ، بأي نوع من أنواع الربطِ، كأن يكون بدلالة إشارةٍ أو دلالة مفهوم، أو غير ذلك، وكلُّ كلامٍ ربط بمعنى الآيةِ فإنه من هذا الباب، لأنَّ الذي يقولُ به يرى أنَّ الآيةَ دلَّت عليه بأي نوع من أنواع الدِّلالة، وقد يكون استنباطَ حكم فقهيٍّ، أو يكونُ استنباطَ أدبٍ تشريعيٍّ عامٍّ، أو يكونُ استنباطَ أدبٍ أخلاقيٍّ في معاملةِ الناسِ، أو يكونُ استنباطَ فوائدَ تربويةٍ تتعلق بتزكيةِ النفوسِ، أو يكون استنباطَ فائدةٍ علميةٍ.

وهي نظرية الخواطر القائمة على منهج «الموازنة بين الذات والموضوع في تفسير القرآن» وهو منهج عرفته مسيرة التفسير التاريخية منذ الأيام الأولى لنزول القرآن، ونتيجة للتطور الذي حدث للتفسير بوجه عام فقد كان لهذا المنهج مراحل مختلفة وأطوار متباينة، ففي عهد الصحابة لم يكن يحمل هذا المنهج

(١٣٥) انظر مقاييس اللُّغة (٥: ٣٨١)، والعباب الزاخر واللباب الفاخر للصغاني، تحقيق محمد حسين آل ياسين (حرف الطاء: ٢٠٨).

(١٣٦) تفسير الطبري، تحقيق شاكر (٨: ٥٧١).

(١٣٧) العباب الزاخر واللباب الفاخر، للصغاني، تحقيق محمد حسين آل ياسين (حرف الطاء: ٢٠٧).



اسمًا أو مصطلحا محددا، ثم اصطلح المفسرون بعد ذلك على تسميته بالتفسير الإشاري[١٣٨] وقد أطلقت هذه التسمية عليه لغلبة روح التصوف والسلوك، ثم عرف بعد ذلك بالذوق الانطباعي في الأبحاث المعاصرة[١٣٩].

وقد عرفه الذهبي[١٤٠] بأنه «تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة»[١٤١].

ويكشف لنا الذهبي أيضا عن قدم هذا المنهج فيقول «لم يكن التفسير الإشاري بالأمر الجديد في إبراز معاني القرآن الكريم، بل هو أمر معروف من لدن نزوله على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أشار إليه القرآن ونبه عليه الرسول صلى الله عليه وسلم، وعرفه الصحابة رضوان الله عليهم وقالوه به».

ويقصد الذهبي بقدم هذا المنهج من لدن نزول الوحي ما أخرجه البخاري عن ابن عباس أنه قال «كان عمر يدخلني على أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر إنه من حيث علمتم فدعا ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم قال: ما تقولون في قوله تعالى «**إذا جاء نصر الله والفتح**» فقال بعضهم أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له، قال إذا جاء نصر الله والفتح، وذلك علامة أجلك، فسبح

---

(١٣٨) انظر التفسير والمفسرون للذهبي ص٢/٩١.

(١٣٩) أطلق اسم «التفسير الذوقي الانطباعي» على هذا المنهج د.عفت الشرقاوي في كتابه الفكر الديني في مواجهة العصر، ثم سار عليه د.فهد الرومي في كتابه بحوث في أصول التفسير ومناهجه ص١١١، وكذلك الخالدي في كتابه الشهيد الحي ص١٨٥.

(١٤٠) التفسير والمفسرون للذهبي٢/٣٥٣.

(١٤١) كما عرفه د.صبحي الصالح بأنه التفسير الذي تؤول به الآيات على غير ظاهرها مع محاولة الجمع بين الظاهر والخفي، انظر مباحث في علوم القرآن ٢٩٦.

بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا، فقال عمر ما أعلم منها إلا ما تقول»[١٤٢].

ولما كان هذا المنهج الذي يعتمد الخواطر النفسية أساسًا للقول في كتاب الله، كان لا بد له من معيار ينضبط به حتى يتميز عن عبث المتلاعبين بالقرآن تحت ستار اسم باطن القرآن، وهم لا يفسرون القرآن على الحقيقة بل يتلاعبون لهدم الشريعة باسم الشريعة، فقد وضع علماء الشريعة معايير وضوابط تقيد هذا المنهج وتصونه مما يتخذه البعض ذريعة للتقول على القرآن ما لم ينزل الله به سلطانًا فاشترطوا لاعتماد هذا المنهج:

- أن يصح مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب، حيث يجري على المقاصد العربية، وذلك ضرورة كون القرآن عربيًّا.
- أن يكون له شاهد شرعي نصًا أو ظاهرًا يشهد لصحته من غير معارض، وذلك لأنه إن لم يكن للتفسير الإشاري شاهد في محل آخر، أو كان له شاهد لكن له معارض، صار دعوى تدعى على القرآن من غير دليل، والدعوى التي لا دليل عليها مرفوضة باتفاق العلماء.
- ألا يدعى أن التفسير الإشاري هو المراد وحده دون الظاهر، بل لا بد أن نعترف بالمعنى الظاهر أولًا، إذا لا يطمع في الوصول إلى الإشارة قبل إحكام فهم العبارة، فإن من ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب.
- ألا يكون تأويلًا بعيدًا سخيفًا[١٤٣]، وتكمن إشكالية هذه النظرية التي اعتمدها

---

(١٤٢) كتاب التفسير باب «إذا جاء نصر الله والفتح» ح٤٩٧٠.

(١٤٣) انظر الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي ٣/٣٩٤، مناهل العرفان للزرقاني ٢/٨١، وعلوم القرآن الكريم، د.نورالدين عتر ٩٩، ومباحث في علوم القرآن د.صبحي الصالح ص٢٩٦، ومباحث في علوم القرآن د.فهد الرومي ٢٢٠.

الشعراوي في مدى دقة الموازنة بين الذات وبين الموضوع، كما تكمن أيضًا في صعوبة، بل وندرة، وجود المفسر الذي يجمع بين العلم الراسخ، وبين الربانية الصافية، فكما أن للذات حقها في جانب الاستغراق في النص والتفكر فيه والشعور بحلاوته، بحيث لا يصل إلى ما يتصادم مع مجمل ما جاء به القرآن، فكذلك للموضوع أيضًا حقه في التزام مدلوله اللغوي، وحدوده الشرعية والتزام أبعاد معانيه ومدلولاته، بحيث لا يتجاوزها فيشطح، وبقدر هذا التوازن يكون الاستقرار والثبات والسلامة، وذلك لأن الذات إذا طغت على الموضوع خرج عن نطاقه إلى نطاق التفسير الصوفي الذي يعتمد على الأوهام أكثر من اعتماده على الحقائق الشرعية، وإذا طغى الموضوع على الذات خرج عن نطاق التذوق إلى نطاق التفسير العلمي، وضاقت جوانب جذبات النفس وارتباطها بالنص، وأصبح المفسر والنص كتلتين منفصلتين لا تمازج بينهما ولا تجاذب[١٤٤]، فالإشكالية تكمن في ندرة وجود المفسر الذي يوازن بين الذات والموضوع بهذه الدقة المتناهية.

ومع أن لكل مسلم الحق في تذوق القرآن تذوقًا خاصًا حينما يقرأه أو تتلى عليه آياته، إذ التذوق حركة نفسية وانطباع ذاتي لا يملك الإنسان له ردًا، ولا يستطيع له منعًا، بل لا بد أن يظهر أثره في خلجات سامعه وسكناته شاء ذلك أم أبى، على اختلاف بين المسلمين، فمنهم من يفيض دمعه، ومنهم من يقشعر جلده ومنهم من يلين قلبه، إلا أن هذه الأحاسيس لم تتجاوز محيط التأثر الذاتي، فلم يترجمها أحد أحرفًا على الورق يفيض بها ذوقه السامي، ويسطرها قلمه معالم يهتدي بها من قصر باعه، وخلت بضاعته، فلم يتذوق النص أو لم يستطع التعبير عنه، وذلك

(١٤٤) بحوث في أصول التفسير ومناهجه، د.فهد الرومي ١١٢.

أمر يعود إلى انقطاع الصلة بين القيم الشعورية والقيم التعبيرية[١٤٥].

ومن هنا كان هذا النوع من التفسير أقل اتجاهات التفاسير ثراء، بل وجودًا، فالباحث غالبًا لا يكاد يعثر على نماذج كثيرة في جهود المفسرين المحدثين تتخذ التذوق وحده رائدًا في التفسير[١٤٦]، وتلك إشكالية أخرى يعيشها منهج الموازنة بين الذات والموضوع.

ونتيجة لاتصاف القرون الأولى بقوة الإيمان، ورقة القلب، الأمر الذي أدى إلى غلبة اللطائف الرقائقية والإشارات الوعظية على «نظرية الخواطر في التفسير» فقد صبغت هذه النظرية بالصبغة الصوفية وأطلق عليها التفسير الإشاري كانعكاس للبيئة التي كان يحياها التفسير آنذاك، وصار اسم التفسير الإشاري ملازمًا وملتصقًا للخواطر القرآنية، غير أن الأمر قد تغير في واقعنا المعاصر، لما تناقصت خيرية القرون المتتابعة واستشرى الفساد، واستبدلت الشرائع، ورق الدين وضعف أثره في قلوب كثيرين، الأمر الذي انعكس على الخواطر الإيمانية لدى مفسر هذا الزمن فصارت كل جهوده التفسيرية وخواطره الإيمانية متجهة إلى كيفية معالجة حال أمته والمساهمة في انتشالها مما هي فيه من خلال هذه الخواطر التفسيرية، فجاء سيد قطب بخواطره الحركية «في ظلال القرآن» ومن بعده الشعراوي في خواطره الموسوعية حول القرآن.

فقد أجاد سيد قطب الموازنة بين ذاته وبين موضوع القرآن، ولكن دون أن يكون ذلك صادرًا عن فكر متصوف فتجردت الخواطر التفسيرية- ولأول مرة- من جبتها الصوفية لترتدي جبة الواقعية والحركية.

---

(١٤٥) المرجع السابق ص١١١.

(١٤٦) الفكر الديني في مواجهة العصر د.عفت الشرقاوي ص٣٣٨.

وقد ظن بعض الباحثين أن سيد قطب[١٤٧] قد نشأ على يديه ما يعرف بالتفسير الذوقي الانطباعي، وهذا رأي فيه نظر، وذلك أن الذوق الذي اعتمده سيد في ظلاله هو قوام منهج الموازنة بين الذات والموضوع، وهذا المنهج منهج قديم- باتفاق- قدم التفسير نفسه، وأن كل ما فعله سيد هو أنه انتقل بالخواطر القرآنية من مرحلة الإشارات ولطائف المتصوفة ومصطلحاتهم التي كانت تناسب تلك الأزمنة التي غلب على أصحابها الزهد والتصوف والانخلاع من الدنيا، إلى مرحلة يقتضيها واقع الأمة المعاصر وهي مرحلة الواقعية والحركية.

ولعل السبب الذي نشأ عنه توهم ميلاد منهج الموازنة بين الذات والموضوع على يد سيد قطب هو الخلط بين «الإشارية» التي سمي بها التفسير في مرحلة من مراحله والمنهج ذاته القائم على الموازنة بين الذات التي قد يغلب عليها التصوف أو الحركية أو الدعوية وبين موضوع القرآن نفسه.

وهناك سبب آخر وهو الحساسية المفرطة من تسمية منهج الموازنة بين الذات والموضوع بالتفسير الإشاري الذي ينسب إلى التصوف وما تثيره تلك التسمية من حرج لا سيما عند التيارات السلفية المكتوية بممارسات المتصوفة الغلاة، وكذلك الخشية من الربط بين هذا النوع من التفسير والتفاسير الأخرى الفاسدة التي افتقدت شرائط التفسير الإشاري المقبول.

غير أنه ينبغي أن تتلاشى هذه الحساسية وأن تزول حين يتم التفريق بين التفسير الصوفي النظري من جانب وبين التفسير الإشاري المقبول من جانب آخر، فالأول وهو التفسير الصوفي النظري تفسير فاسد، يحول فيه الصوفي القرآن عن هدفه ومقصده إلى ما يقصده هو ويرمي إليه، وغرضه بهذا كله أن يروج لتصوفه على حساب القرآن، وأن يقيم نظرياته وأبحاثه على أساس من كتاب

---

(١٤٧) د.عفت الشرقاوي في كتابه الفكر الديني في مواجهة العصر ص٣٣٥، ود.فهد الرومي في كتابه بحوث في التفسير وأصوله ص١١١.

الله، وبهذا الصنيع يكون الصوفي قد خدم فلسفته التصوفية ولم يعمل للقرآن شيئًا، اللهم إلا هذا التأويل الذي كله شر على الدين وإلحاد في آيات الله[١٤٨]، هذا بالإضافة إلى أن المفسر الصوفي يرى كل ما تحتمله الآية من المعاني، وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تحمل الآية عليه، هذا بحسب طاقته طبعًا[١٤٩]، أما التفسير الذي يعتمد الذوق النفسي فلا يرتكز على مقدمات علمية بل يرتكز على رياضة روحية منضبطة بأصول الشريعة، يأخذ بها المفسر نفسه، ويعيش مع القرآن آناء الليل وأطراف النهار ويذوق حلاوته وتتسكب معانيه وخواطره في أحاسيسه، فيهبه الله قدرة عجيبة وتوفيقًا نادرًا في الجمع والموازنة الدقيقة بين ذاته والقرآن دون أن يخرج بفكره وخواطره عن دائرة ما جاءت به الشريعة ومن غير أن يفقد شرطًا من شروط اعتباره.

يقول د.فهد الرومي «ونحن لا ننكر وجوب التدبر في القرآن الكريم ولا ننكر أيضًا أن يكون لمعاني القرآن معان ظاهرة متبادرة للذهن، ومعان أخرى حقًا تحتاج إلى تدبر وتمعن يؤتيه الله من يشاء من عباده، وتتفاوت فيه الدرجات لكننا نرفض كل الرفض أن يكون هذا النوع هو الذي يزعمه الصوفية من إشارات ورموز وطلاسم قوامها الوجد والذوق تذهب صفاء القرآن الكريم ونقاءه»[١٥٠].

ويزيل د.السيد أحمد خليل اللبس الذي قد يقع بين التفسير الذي يعتمد على الذوق السليم، والفكر الصحيح وبين التفسير الفاسد الناتج عن ذوق منتكس وعقيدة خربة فيقول «يجب أن نفرق بين نوعين من التفسير هما:

- **التفسير الإشاري**
- **التفسير الرمزي**

(١٤٨) التفسير والمفسرون للذهبي ١٢/٣.

(١٤٩) المرجع السابق ١٨/٣.

(١٥٠) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر د.فهد الرومي ٤٠٧/١.

أما الأول فحق وهو ينقسم إلى قسمين:

استنباط إشاري معنوي واستنباط إشاري لفظي

ونريد بالتفسير الإشاري المعنوي التفسير المرتبط بإشارة المعنى العام للآية أو السورة، وهي الدلالة على معنى آخر يستبطن المعنى الإجمالي، فهما يؤتيه الله من يشاء من عباده لا يخالف نصًا ولا يجافي لفظًا ولا يجاوز معنى حقًا، ومن هذا النوع ما سبق ذكره من استدعاء عمر لابن عباس في مجلسه مع شيوخ بدر، رضي الله عنهم، كل هذه المعاني باطنة لا تخالف المعنى الظاهر للآية ولا تنتهك نطاق لفظه ولا حدود معانيه، فكان القبول لها حليفًا، ونريد بالتفسير الإشاري اللفظي التفسير المرتبط بإشارة لفظة خاصة يستدل بها على معنى آخر يستبطن معناها في سياقها العام، ومن هذا النوع من التفسير ما استدل به العز بن عبدالسلام على صحة أنكحة الكفار من قوله تعالى ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾[151] ومنه أيضًا ما استدل به المفسرون من قوله تعالى ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[152] على أنه «عبر عنه بهذه العبارة إشارة إلى جهة وجوب المؤن عليه، لأن الوالدات إنما ولدن للآباء، ولذلك ينسب الولد للأب دون الأم»[153] هذا هو التفسير، يستمد مقوماته من النص الماثل أمامه من غير تحريف ولا تأويل خارج عن حدود الدين واللغة، وهو الذي تدل عليه النصوص والأدلة التي استدلوا بها على صحة التفسير الإشاري، إذ هذا هو ما تدل عليه، أما النوع الذي يجب أن نفرق بينه وبين التفسير الإشاري فهو التفسير الرمزي، وهو التفسير الذي سلكه الصوفيون، وهم يحسبون أنهم يسلكون الأول وما هم بسالكيه، ذلك أن

---

(١٥١) سورة المسد الآية ٤.

(١٥٢) سورة البقرة الآية ٢٣٣.

(١٥٣) تفسير القاسمي ٣/٦١٠.

التفسير الرمزي تفسير صوفي يعتمد في سبيل الوصول إلى المعرفة على منهج قوامه الوجد والذوق والترقي في مقاماتهم، حتى يصل المتصوف مقام العرفان فتفيض عليه- بزعمهم- مكنونات العلم وأسرار المعرفة، بل يصل إلى أبعد من هذا فتفوض جملة الأمور إليه، بحيث لا يسقط ورق من شجر إلا بإذن وكتاب وأجل منه، وليس وراء هذه مقام ومرتبة[١٥٤].

ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك النموذج هو تفسير الشعراوي الذي كانت رغبته متوجهة بالأساس إلى أن يكون تفسيره خاطريًا، معتمدا على الموازنة بين ذاته التي عاشت مع القرآن وذاقت حلاوته وتدبرت معانيه آناء الليل وأطراف النهار، والقرآن، حتى فتح الله عليه بخواطر وإيمانيات وإشارات معنوية ولفظية لا تخالف نصًا ولا تجافي لفظًا ولا تجاوز معنى حقًا بل كان- رحمه الله- يحرص حرصًا شديدًا على أن تكون خواطره ولطائفه دائرة في فلك القرآن والسنة لا تخرج عن إطارهما وتدور معهما حيث دارا، وإن كان للشيخ شطحاته وتجاوزاته التي ذكرناها في موضعها ورددنا عليها.

ولكن هل نجح الشعراوي في تحقيق أمنيته بأن يكون تفسيره خواطر إيمانية؟ وهل ألزم نفسه بمنهجه الذي رسمه لنفسه، وأقر به في بداية تفسيره، وهو أن كلامه في القرآن ليس تفسيرًا وإنما هو «خواطر وهبات صفائية ربانية تخطر على قلب مؤمن في آية أو بضع آيات»؟[١٥٥]، أو بمعنى آخر هل كل تفسير الشعراوي تفسيرًا ذوقيًا رقائقيًا، أم أنه اشتمل على ألوان أخرى من مناهج التفسير وألوانه ومدارسه؟ في الواقع تفسير الشعراوي لم يكن كله خواطر وهبات صفائية وإشارات روحانية كما أراد أن يكون، بمعنى أنه لم ينجح في

---

(١٥٤) دراسات في التفسير د.السيد أحمد خليل ١٢٧.

(١٥٥) تفسير الشعراوي ١/٩.

تحقيق أمنيته التي تمناها حينما بدأ دروسه وأحاديثه، صحيح أن الشعراوي بدأ كلامه عن التفسير وهو يحرص حرصًا شديدًا على أن تكون مسيرته مع القرآن مسيرة خواطر وإيمانيات وسبحات ربانية لاحت لرجل عاش مع القرآن طوال عمره يتفكر في آياته، ويتدبر في معانيه، ويتشوق إلى فضائله، وبركاته، ولكن سرعان ما طغى التراكم المعرفي اللغوي والبلاغي والمنطقي على الجانب الإيماني الرقائقي فاتسعت جوانب تفسيره ليخرج عن إطار «الخواطر» إلى إطار «التفسير الموسوعي» الذي يشتمل على كل ألوان التفسير ونماذجه ليشكل بذلك تفسيرًا موسوعيًّا له أسسه التي يقوم عليها ويتشكل منها.

اتجاهات التجديد في العصر الحديث

١- التفسير العلمي

فرض منهج التفسير العلمي للآيات الكونية نفسه على ساحة التفسير في العصر الحديث، نظرًا لما تميز به هذا العصر من كشوف علمية تناولت الطبيعة في مظاهرها وفروعها المتعددة- النبات والحيوان والفلك والجغرافية- وكذلك الإنسان في مراحل خلقه المختلفة وفي جوانبه المادية والعضوية. فإذا علمنا أن القرآن الكريم أشار إلى بعض هذه الجوانب والمراحل، وأشار كذلك إلى كثير من مظاهر الطبيعة تلك، أدركنا السبب في اتجاه بعض الباحثين والمفسرين نحو هذه الكشوف يستعينون بها في التفسير، أو يحاولون فهم الآيات الكريمة في ضوئها أو انطلاقاتها[١٥٦]، وقد شجعهم على ذلك زيادة تلاقي القرآن الكريم مع حقائق العلم المقررة بعد الاكتشافات الحديثة، فلقد ثبت بهذا أن القرآن الكريم قد أشار مجملًا أو مفصلًا في مناسبات مختلفة إلى مجموعة من الحقائق العلمية التي لا تقبل الجدل، والنتيجة الطبيعية لهذا التلاقي هي نمو حركة التفسير العلمي كلما حقق العلم جديدًا، فأثبت ما أشار إليه القرآن منذ مئات السنين[١٥٧].

كما أن حالة الهزيمة النفسية والفكرية التي يعيشها المسلمون- الناتجة عن الشعور بالتخلف والجهل أمام المد العلمي والثقافي القادم من الغرب- جعلت

---

(١٥٦) انظر مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، د.زرزور ص٢٣٣.

(١٥٧) اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث، د.إبراهيم الشريف ص٣٩٠.

هذا الاتجاه التفسيري يبرز عند بعض المفسرين[١٥٨] كمحاولة لإثبات أن القرآن يدعو إلى العلم وأنه يتضمن بين جوانبه كثيرًا من الاكتشافات العلمية التي جاء بها العلم الحديث، محاولين بذلك إعادة التوازن النفسي إلى الشخصية المسلمة المعتزة بدينها[١٥٩].

هذا بالإضافة إلى أنه قد وُجد أنه في هذا اللون من ألوان التفسير، أو في هذا الوجه من وجوه الإعجاز ميدانًا ملائمًا للدعوة إلى الإسلام، وإقامة الدليل على أن القرآن وحي يوحى، وأنه تنزيل من حكيم حميد، في الوقت الذي ضعفت فيه سليقة العرب اللغوية، وأضحوا غير قادرين على تذوق الإعجاز البياني للقرآن الكريم، وفي الوقت الذي عُدَّ فيه هذا الإعجاز قادرًا على مخاطبة العرب وغير العرب، كما يقوى على إدراكه المسلمون وغير المسلمين، بل إن غير المسلمين من الأوروبيين المكتشفين للسنن أو أصحاب التقدم العلمي المشار إليه يأتون في مقدمة من يعقل عن القرآن هذا الإعجاز، أو بعبارة أدق، هذا السبق العلمي الباهر الذي جاء به القرآن الكريم قبل مئات السنين[١٦٠].

كما أن من أسباب رواج التفسير العلمي في العصر الحديث، إحساس المفسر في العصر الحديث بتقدير كبير لنتائج العلم الذي سيطر على كل شيء في حياة الإنسان، مما جعله يصادف إعجابًا بالغًا، لذلك فإننا نغتبط كثيرًا حين يحقق

(١٥٨) الذين تناولوا موضوع التفسير العلمي من هذا المنطق يُعتبرون من حركة التجديد في العصر الحديث، وعلى رأس هؤلاء المفسرين محمد عبده والشيخ طنطاوي جوهري وغيرهما ممن ينتمون إلى مدرسة التجديد التي أخذت تفسر القرآن على طريقة توحي بتجديد مبادئ الإسلام وربط التعاليم الدينية بالحياة المدنية، وإظهار أن الإسلام لا يتعارض أبدًا مع الحضارة المدنية والتقدم في الحياة.

(١٥٩) في ظلال القرآن، سيد قطب ١/ ١٨٠.

(١٦٠) مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، د.زرزور ص٢٣٤.

العلم توافقًا ما بينه وبين أخلد ما ندين به- أعني القرآن- لأن هذا التوافق يخلص البعض من المفكرين من أزمة الإحساس بالتخلف التي تؤرقه[١٦١].

مفهوم التفسير العلمي[١٦٢]

ذكر العلماء والباحثون عدة تعريفات للتفسير العلمي[١٦٣]، ولعل أقرب تعريف للتفسير العلمي تماشيًا مع الواقع، مع اشتماله على غايته وأهدافه تفسير، **د.فهد الرومي بأنه**: «اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي، على وجه يظهر به إعجاز القرآن ويدل على مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان[١٦٤]. وقريب منه تعريف د.أحمد عمر أبو حجر[١٦٥].

---

(١٦١) اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث، د.إبراهيم الشريف ٣٩٠.

(١٦٢) المقصود بالعلوم العلوم الكونية والمعارف والصنائع، وما جد وما يجد في العالم من فنون ومعارف كعلوم الهندسة والحساب والبيئة والاقتصاد والاجتماع والطبيعة والكيمياء والحيوان والنبات وطبقات الأرض، ولا يقصد به العلم عند الحكماء وهو «صورة الشيء الحاصلة في العقل»، ولا العلم عند المتكلمين وهو «الصفة التي يتجلى بها الأمر لمن قامت به».

(١٦٣) عرفه أمين الخولي وتابعه عليه الذهبي بأنه «التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية، انظر اتجاهات التفسير في القرآن في القرن الرابع عشر ٢/٢٨٧، والتفسير والمفسرون ٢/٢٢٠، وعرفه د.عبدالمجيد عبدالمحتسب بأنه «التفسير الذي يتوخى أصحابه إخضاع عبارات القرآن للنظريات والاصطلاحات العلمية وبذل أقصى الجهد في استخراج مختلف مسائل القلق والآراء الفلسفية فيها» انظر اتجاهات التفسير في العصر الحديث، ٢٤٧، غير أنه يلاحظ أن في التعريفين عبارات وإلماحات يفهم منها التحامل على هذا اللون من التفسير مثل «يحكّم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن» ومثل «إخضاع عبارات القرآن للنظريات..»، وعلى ذلك فكل من يقرأ هذين التعريفين وليس له إلمام بهذا الاتجاه في التفسير يحكم عليه بأنه غير جائز، لأنه يخضع عبارات القرآن للنظريات العلمية المتغيرة، انظر التفسير العلمي في القرآن في الميزان، د.أحمد أبو حجر ٦٦.

(١٦٤) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د.فهد الرومي ٢٨٨.

(١٦٥) فقد عرف التفسير العلمي بأنه «التفسير الذي يحاول فيه المفسر فهم عبارات القرآن في ضوء ما أثبته العلم والكشف عن سر من أسرار إعجازه من حيث إنه تضمن هذه المعلومات العلمية الدقيقة التي لم يكن يعرفها البشر وقت نزول القرآن، فدل ذلك على أنه ليس من كلام البشر ولكنه من عند الله خالق القوى والقدر»، انظر التفسير العلمي في الميزان، د.أحمد أبو حجر ص٦٦.

وقد انقسم العلماء إلى فريق مؤيد[١٦٦] للتفسير العلمي وفريق معارض غير قابل به[١٦٧]، فالمؤيدون لا يريدون شيئًا إلا أن يثبتوا للعالم أجمع أن القرآن من عند الله، وأن منزل القرآن هو خالق الكون الذي يعلم السر وأخفى، وقد ضمنه هذه الحقائق العلمية[١٦٨] وقد أقاموا على ذلك أدلتهم[١٦٩].

أما المعارضون فإنهم يرون أن المقررات العلمية تكون عرضة للتبديل والتغيير، وهم لا يريدون أن يربطوا القرآن وتفسيره بعجلة المتغير، وكفى القرآن شرفًا ومجدًا أنه حث على العلم والبحث والنظر، ولم يقف حجر عثرة في سبيل التقدم العلمي والفكري[١٧٠]، وأخذوا يستدلون على تقرير هذا المعنى وتأكيده[١٧١].

---

(١٦٦) يقف على رأي المؤيدين الإمام الغزالي، وابن أبي الفضل المرسي والسيوطي، ومن المعاصرين محمد عبده، والجوهري طنطاوي والكواكبي ود.محمد عبدالله دراز، انظر التفسير والمفسرون ٢/٤٩٧، كيف نتعامل مع القرآن؟ د.يوسف القرضاوي ٣٧٤، والتفسير العلمي في القرآن في الميزان، أحمد أبو حجر ص٩٣ وما بعدها.

(١٦٧) ويقف على رأس المعارضين الشاطبي وتابعه من المعاصرين الشيخ شلتوت، وأمين الخولي، ومصطفى المراغي، وسيد قطب والشيخ عبدالله المشد، انظر بحوث في أصول التفسير ومناهجه ٩٨، ومقدمة تفسير الشيخ شلتوت ص١١ وما بعدها، والإسلام والطب الحديث، د.عبدالعزيز إسماعيل ص٤٩٥، وفي ظلال القرآن ١/١٨٠-١٨١، والتفسير.. معالم حياته.. منهجه اليوم، أمين الخولي ص٢٣.

(١٦٨) التفسير العلمي في القرآن في الميزان، د.أحمد أبو حجر ص٩٣.

(١٦٩) تتلخص أدلتهم في الاستدلال بقوله تعالى «ما فرطنا في الكتاب من شيء» (سورة الأنعام الآية ٣٨)، ووجه الدلالة من الآية أن كتاب الله اشتمل على كل شيء ومن ذلك أنواع العلوم، فليس فيها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السماوات والأرض... إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات، انظر الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٢٩، أن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض والآفاق والأنفس، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها جائزًا ما ملأ الله كتابه بها، وأنه يملأ النفس إيمانًا بعظمة الله وقدرته، حينما يقف الإنسان في تفسير كلام الله على خواص الأشياء ودقائق المخلوقات، انظر بحوث في أصول التفسير ومناهجه ص٩٨، ومقدمة تفسير الشيخ شلتوت ص١٢.

(١٧٠) انظر العلم والإيمان في بناء المجتمعات، د.عبدالغني الراجحي ص٢٢٣.

(١٧١) ومن أدلتهم على معارضة التفسير العلمي أن الله لم ينزل القرآن ليكون كتابًا يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون، وأن تناول الآيات بهذا اللون من التفسير يضطر المفسر إلى مجاوزة الحدود التي تحتملها ألفاظ النص القرآني، لأنه سيؤدي إلى التأويل المستمر مع التمحل والتكلف لنصوص القرآن كي نحملها ونركض بها وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر، وكل ذلك لا يتفق وجلال القرآن، انظر في ظلال القرآن ١/١٨١، ومقدمة تفسير الشيخ شلتوت ١٣.

غير أن الملاحظ على الفريقين أنهما لم يلتقيا على مورد واحد ولم يتحدثا بلغة واحدة، وأن كلًا منهما يجري في ميدان غير ميدان الآخر، وهذا سبب أصيل من أسباب الاختلاف بين الفريقين، هذا بالإضافة إلى أن كل فريق عرض رأيه بأسلوب فرض على الطرف الآخر إنكاره والرد عليه بقسوة أحيانًا، ولو حدث تحرير دقيق لأقوال كل فريق وتحقيق مناطها والانطلاق من المسلمات التي يعتقدها الطرفان فيما يتعلق بنظرتهما للقرآن، مع استبعاد الممارسات الخاطئة والمبالغ فيها أحيانًا لأمكن الالتقاء، وجاز الاتفاق، ولأصبح الأمر أشبه ما يكون بالخلاف اللفظي، بل هو بالفعل خلاف لفظي.

فالفريقان لم يختلفا، بل إن كلا منهما مسلم بإعجاز القرآن ومقر بأنه حقيقة قرآنية، وكل واحد منهما يدعو فيما يدعو إلى التدبر والتفكر في خلق السموات والأرض، إلا أن فريقا منهما رأى أنه ما دام الإعجاز العلمي حقيقة قرآنية واقعة فلماذا لا نطبقه على الآيات الكونية آية آية ونربطه بالحقائق العلمية حقيقة حقيقة؟ والفريق الآخر امتنع عن تطبيق قاعدة الإعجاز العلمي بصورة جزئية مفصلة ليس خشية على القرآن من المصادمة مع الكون، ولكن لعدم الثقة في مداركنا نحن البشر فقد نحسب رأيًا علميًا أو نظرية علمية حقيقة علمية، فما تلبث قليلًا إلا وتتقوض بعد رسوخ، وتتزعزع بعد ثبوت، ولات حين مناص نقع في الحرج الشديد فيكَذَّب القرآن وهو الصادق فتكون البلية[١٧٢].

إن أكثر ما يخشاه المعارضون للتفسير العلمي هو المبالغة والتحمس في ربط النص القرآني بكل مستحدث من النظريات، دون الاستيثاق من صحته أو التأكد من يقينيته، ثم الزعم بأن هذا هو معنى النص القرآني، أو اعتبار أن القرآن مطالب بموافقة هذه النظريات من زمن إلى زمن، ومن تفكير إلى تفكير، أو أن يتعسف المفسر في تحميل النصوص ما لا يمكن أن تحتمله، إذ إن العقل المحايد

(١٧٢) اتجاهات التجديد في مصر في العصر الحديث، د.إبراهيم الشريف ٦٨٦.

يستطيع بسهولة أن يكتشف تعسف التأويل، وحينئذ تكون النتيجة على حساب الإسلام وليست لحسابه[١٧٣].

وعملًا بالقولين فبالإمكان القول إنه لا قبول ولا إنكار للتفسير العلمي بإطلاق[١٧٤]، بمعنى أنه لا بأس من إيراد الحقائق العلمية الثابتة[١٧٥] التي لا تقبل الشك عند تناول ما له علاقة بذلك من النص القرآني، مع إدراك معنى النص وفهمه الفهم السليم الخالي من الشوائب والمؤثرات الخارجية أو الميل به والانحراف لموافقة تلك الحقيقة العلمية، وهذا كله مشروط بما يلي:

أولًا: ألا تفسر الآية الكونية إلا بالحقائق العلمية التي ارتقت من درجة الفروض[١٧٦] أو النظريات العلمية[١٧٧] إلى مقام اليقينيات التي لا يمكن أن يتطرق إليها التغيير والتبديل، ولا يقال إن العلم ليست فيه حقائق ثابتة إلى الأبد، فكم من قضايا كانت يومًا- بل ظلت قرونًا وقرونًا- حقائق مقدسة ثم ذهبت قدسيتها، وأثبت التطور العلمي عكسها.. وهذا صحيح، ولكن حسبنا الثبات النسبي للحقائق، فهذا هو الذي في مقدورنا بوصفنا بشرًا، وقد قيل في تعريف التفسير: هو بيان

---

(١٧٣) الفلسفة القرآنية ص١٧٣.

(١٧٤) مدخل إلى تفسير القرآن، د.عدنان زرزور ٢٤٣.

(١٧٥) الحقيقة العلمية هي التي تمثل أصلب أرضية تقف عليها أقدام الباحثين في كل عصر، وهناك حقائق يتوصل إليها عن طريق التجربة الحسية البسيطة، وهناك حقائق لا يتوصل إليها إلا باستخدام آلات معقدة جدًا هي بدورها نتيجة اكتشافات علمية أخرى، وهناك حقائق علمية تنتج من التفكير المجرد عن طريق الاستنباط العقلي والبرهان النظري البحت، انظر أصناف المعرفة ومستويات الإيمان، د.عبدالوهاب بوحديبة، منشورات مجلة الحياة ص٣٠.

(١٧٦) الفرض العلمي هو رأي يحاول به الباحث تفسير ظاهرة شاهدها في مجال الطبيعة أو في ميدان من ميادين العلم المختلفة، وكل فرض علمي قابل للصحة كما هو قابل للبطلان أو التعديل، وصحته أو تعديله أو بطلانه أمور تظهر أثناء التجربة والاختبار، انظر أصناف المعرفة ومستويات الإيمان ص٣٠.

(١٧٧) النظرية العلمية هي كل فرض يجب أن يخضع لتجارب واختبارات متعددة، ونتائج تلك التجارب هي التي تقرر مصيرها، فإذا ما تكاثرت النتائج المؤيدة للفرض إلى أن غلبت عند الباحث نسبة صحته أصبح نظرية علمية، انظر أصناف المعرفة ومستويات الإيمان ص٣٠.

المراد من كلام الله بقدر الطاقة البشرية(١٧٨).

ثانيًا: ألا نتمحل ولا نتعسف ولا نتكلف حمل النص على المعنى الذي نريد استنباطه، وإنما نأخذ من المعاني ما ساعدت عليه اللغة واحتملته العبارة دون قسر، وأن يُراعَى سياق النص(١٧٩).

ثالثًا: ألا تطغى تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن وهو الهداية والإعجاز، أما إن أسرف المفسر واشتغل بتفريعات العلوم والمباحث الأدبية، ونظريات الفنون الكونية، فقد انعكست الآية، ولم يعد التفسير تفسيرًا، بل يصبح أشبه بكتب العلوم والفنون...(١٨٠).

ذلك أن القرآن الكريم لم يتخذ العلوم الكونية موضوعًا من موضوعاته الأساسية، بل كان غرضه الأكبر هو هداية الناس، فهو لم يضع نظريات في العلوم، وليس يرفع من قدره أن يفعل ذلك، لأن هذه العلوم إذا خلت من الهداية تحولت إلى نقمة تحيق بالإنسانية، كما هو مشاهد لنا على مستوى الأفراد والجماعات والدول، فحسب القرآن أن ينشئ المجتمع الفاضل، لكنه في الوقت نفسه قد أرسى أسس تقدم العلم، بما رسخ من مفاهيم صحيحة وأبطل من أفكار زائفة(١٨١).

رابعًا: ألا تُذكر هذه الأبحاث العلمية على أنها التفسير الذي لا يدل النص القرآني على سواه، بل تُذكر لتوسيع المدلول وللاستشهاد بها على نحو لا يؤثر بطلابها فيما بعد على قداسة النص القرآني(١٨٢).

---

(١٧٨) انظر كيف نتعامل مع القرآن؟ د.يوسف القرضاوي ص٣٨٢، وهو تعريف الشيخ عبدالعظيم الزرقاني في مناهل العرفان ٢/٣ وانظر التفسير والمفسرون للذهبي ١٥/١.

(١٧٩) الإسلام في عصر العلم ٢٥٠.

(١٨٠) مناهل العرفان للزرقاني ١٠١/٢.

(١٨١) علوم القرآن الكريم، د.نورالدين عتر ٢٣٦.

(١٨٢) مجلة كلية أصول الدين، القاهرة، العدد الثاني ص٥٨ من مقال د.مصطفى مسلم، نقلًا عن كتاب بحوث في أصول التفسير ص٩٥.

خامسًا: أن تُستغل تلك البحوث العلمية لدفع المسلمين إلى النهضة من خلال لفت أنظارهم إلى جلال القرآن وعظمته، الأمر الذي يولد في نفوسهم إرادة الانتفاع من هذا الكون الذي سخره الله للبشرية، حتى يعاد للأمة مجدها المفقود [١٨٣].

ولهذا فإنه قد سأل بعض الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بعض الظواهر الكونية فأُجيبوا بوظيفتها لا عن طبيعتها أو كيفية عملها، لأن الشريعة ربطت بهذه الوظيفة أو أناطت بها بعض الأعمال والتكاليف الشرعية في سياق كون القرآن كتاب هداية وتشريع، وتأكيدًا على أن معرفة هذه الطبيعة أو اكتشافها إنما هو من عمل التجربة والعقل الإنساني في سائر العصور[١٨٤]. فلقد جاء أن قومًا سألوا النبي- صلى الله عليه وسلم- عن الهلال، ما سبب محاقه وكماله، ومخالفته لحال الشمس؟ فأنزل الله ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ ﴾[١٨٥].

وأشهر تفاسير الاتجاه العلمي الجواهر في تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوي جوهري[١٨٦].

٢- التفسير البياني

شهدت حركة التفسير في العالم الإسلامي الحديث اتجاهًا أوسع آفاقًا

---

(١٨٣) مناهل العرفان للزرقاني ١٠٢/٢.

(١٨٤) بحوث في أصول التفسير، د.فهد الرومي ص١٠٠.

(١٨٥) رواه ابن كثير في تفسيره عن العوفي عن ابن عباس أنه قال «سأل الناس رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عن الأهلة فنزلت هذه الآية «ويسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج» يعلمون بها حل دينهم، وعدة نسائهم ووقت حجهم، انظر تفسير ابن كثير ٢٩٥/١.

(١٨٦) طنطاوي جوهري المصري عالم أديب له اشتغال بالتفسير والعلوم الحديثة، ولد سنة ١٢٨٧هـ، التحق بالأزهر وتخرج بدار العلوم، وعني بدراسة الإنجليزية، ومارس التعليم في بعض المدارس، من أهم مؤلفاته الجواهر في تفسير القرآن الكريم، وجواهر العلوم والحكمة والحكماء، توفي سنة ١٣٥٩هـ، انظر الأعلام ٢٣٠-٢٣١ ومعجم المؤلفين ١٥/٢.

وأعمق تأملًا، وأكثر صلة بالفكر الحديث، وأغزر إضافة إلى التراث التفسيري.. ذلك هو الاتجاه الأدبي[١٨٧]، وهو الاتجاه الذي يتناول القرآن من وجوه إعجازه البياني من حيث البلاغة والفصاحة وحسن الأداء وجمال المنطق وسلامة التعبير، من خلال قيام الدارس على دراسة النص القرآني، وتحليله على نحو ما يفعل في سائر النصوص الأدبية العالية من منظوم ومنثور- وإن كان لا سبيل إلى مقارنتها بالقرآن الكريم في إعجازه البياني- وليس في هذا ما يخرجنا من نطاق «التفسير» إلى نطاق «الأدب» من وكل وجه، لأن التحليل الأدبي للقرآن لا يستغني عن بعض قواعد التفسير، وحتى لا يخطئ الدارس في فهم المعنى المراد ويضيع عليه المفردات والتراكيب ونواحي البيان[١٨٨].

ولا يخفى أن اهتمام المفسر بهذه الوجوه البلاغية والصور البيانية قديم، ربما قدم نزول القرآن على النبي- صلى الله عليه وسلم- بدءًا من تفوق ابن عباس رضي الله عنهما في جمعه لوسائل معرفة الألفاظ والتراكيب اللغوية من خلال اطلاعه الواسع وإلمامه الجامع بإنتاج العرب من شعر ونثر ودلالات ألفاظ، ثم ظهرت المؤلفات العديدة في عصر التدوين مثل «مجاز القرآن» لأبي عبيدة وكتاب «معاني القرآن» للفراء وكتاب «نظم القرآن» للجاحظ، وتتابعت المؤلفات فظهرت كتب عديدة تناولت إعجاز القرآن من هذا الجانب، وكتب تناولت التفسير كله وأوْلَت البيان عناية كتفسير «الكشاف» للزمخشري، واعتنت كتب بالمناسبات وهي من أوجه البيان كـ: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» وكتاب السيوطي «تناسق الدرر في تناسب السور»[١٨٩]، غير أن اعتبار التفسير البياني من اتجاهات التجديد في التفسير في العصر الحديث يرجع إلى أمرين ذكرهما الدكتور فهد الرومي

---

(١٨٧) انظر الفكر الديني في مواجهة العصر، د.عفت الشرقاوي ص٥٩٣.

(١٨٨) مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، د.عدنان زرزور ٢٢٤.

(١٨٩) انظر بيان إعجاز القرآن، لأبي سليمان الخطابي ص٦٥.

في موطنين من كتبه:

الأول أن هذه الدراسات القديمة كانت وسيلة وليست غاية، بمعنى أن المفسر كان الأصل عنده الاعتناء بالمفهوم القرآني وإبراز معانيه في أبهى صورها البيانية، وكان يتخذ الكشف البياني وسيلة له في الكشف عن هذه المعاني والمرادات القرآنية، أما الدراسات البيانية في عصرنا الحديث فهي تدرس النص القرآني، وقصدها الأول أدبي محض صرف، غير متأثر بأي اعتبار وراء ذلك[١٩٠].

والثاني أن المؤلفات القديمة لم تؤصل هذا المنهج ولم تحدد معالمه، بمعنى أن تصوغه في إطار بارز محدد المنهج والضوابط والمعالم، وإنما تناول كل منها جانبًا أو جوانب معدودة، دون أن يكون له منهج عام وواضح[١٩١].

وهناك سبب ثالث ذكره د.محمد إبراهيم الشريف، وهو «أن المفسر الأدبي المعاصر قد أخذ على المفسر القديم عدم التنبه لهذه المسألة، وهي أن تفسير القرآن سورًا أو أجزاءً لا يمكّن من الفهم الدقيق والإدراك الصحيح لمعانيه وأغراضه، إلا أن يقف المفسر عند الموضوع يستكمله في القرآن ويستقصيه إحصاءً فيرد أوله إلى آخره ويفهم لاحقه بسابقه، فأراد المفسر المعاصر أن يستدرك هذا الأمر باستحداث منهج أدبي متكامل يجمع الموضوع ويستقصيه في كل القرآن لتكون الصورة كاملة وواضحة»[١٩٢]، ويعتبر الشيخ محمد عبده «أول من وضع بذور هذا الاتجاه في العصر الحديث، إلا أنها كانت لمحات مبعثرة هنا وهناك، ولم تكن

---

(١٩٠) انظر بحوث في أصول التفسير، د.فهد الرومي ١٠٦-١٠٧.

(١٩١) انظر بحوث في التفسير، د.فهد الرومي ص١٠٧.

(١٩٢) اتجاهات التجديد في مصر في العصر الحديث، د.إبراهيم الشريف ص٤٦٦.

تؤلف في جملتها منهجًا أدبيًا واضحًا يمكن أن ينسب إليه»[١٩٣] إلى أن جاء أمين الخولي[١٩٤] فعمل على ضبط منهج عام للتفسير البياني، ووضعه في إطار عام متكامل ذي معالم وأسس وقواعد علمية، وكان ذلك في كتابيه «التفسير.. معالم حياته.. منهجه اليوم»، وكتاب «مناهج التجديد» ثم جاءت من نسجت على منواله وحاولت مجاراته وهي الدكتورة عائشة عبدالرحمن[١٩٥].

خطوات التفسير البياني

أولًا: أن يجمع المفسر الآيات ذات الموضوع الواحد بعضها إلى بعض في نسق واحد متسلسل، فإن الذي يفهم جملة من النصوص بموضوع واحد إنما يصل إلى صحيح معناها ودقيقه بمعرفة سابقها ولاحقها، متقدمها ومتأخرها، إذا ما كان الزمن قد تباعد بين تلك النصوص[١٩٦].

ثانيًا: أن يرتب آيات الموضوع الواحد ترتيبا زمنيًا حسب تاريخ نزولها[١٩٧].

ثالثًا: أن يقوم بدراسة عامة للبيئة التي نزل بها هذا النص كالبيئة المادية في الأرض والسماء والجبال... والبيئة المعنوية من تاريخ هذه الأمة ونظمها وأعرافها وعاداتها وتقاليدها، لأن هذا المتفهم للقرآن محتاج إلى إدراك المناسبات والملابسات والأسباب التي أحاطت بما يفهمه من النصوص، إذ هي أضواء لا بد

---

(١٩٣) الفكر الديني في مواجهة العصر، د.عفت الشرقاوي ٣٠٢.

(١٩٤) ولد سنة ١٨٩٥م وتخرج في مدرسة القضاء الشرعي ١٩٢٠م واختير مدرسا بها وتدرج في المناصب الجامعية، أنشأ هو وتلامذته مدرسة أدبية هي الأمناء نسبة إليه، حضر عددًا من المؤتمرات، أشهر مؤلفاته التفسير.. عالم حياته.. منهجه اليوم، توفي سنة ١٩٦٦م انظر ترجمته في منهج المدرسة العقلية في التفسير ٦٥٤/٢

(١٩٥) تلقت العلوم الإسلامية والعربية على مناهج الأزهر الشريف وتقدمت من المنزل لامتحان الكفاءة سنة ١٩٢٩م إلى أن حصلت على شهادة الدكتوراه سنة ١٩٥٠، تدرجت في المناصب الجامعية حتى استقرت أستاذة للتفسير والدراسات العليا بكلية الشريعة جامعة القرويين، انظر «تقرير عن الشخصيات المرشحة لجائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام ١٤٠٣هـ» ولم تحصل عليها.

(١٩٦) مناهج التجديد، أمين الخولي ٣٠٥.

(١٩٧) المرجع السابق ٣٠٥.

منها لاستجلاء المعنى[١٩٨].

رابعًا: دراسة النص القرآني في مقرراته وذلك من خلال ملاحظة الآتي:

- فهم حقائق الألفاظ المفردة.
- دراسة استعمالاتها في القرآن الكريم في مواضع مختلفة ومدلولها في كل موضع[١٩٩].
- موافقة اللفظ لما سبق من القول.
- اتفاقه مع جملة المعنى.
- ائتلافه مع القصد الذي جاء به الكتاب بجملته[٢٠٠].

خامسًا: دراسة النص القرآني في معانيه المركبة [٢٠١].

سادسًا: دراسة أساليب القرآن ومعرفتها والإحاطة بها للتفطن إلى نكته ومحاسنه والعناية بالوقوف على مراد المتكلم منه، وذلك بقدر الطاقة البشرية، ويتوفر هذا من خلال الإعراب ودراسة الأساليب والمعاني والبيان[٢٠٢].

ومن الإنصاف أن نذكر أن هذا المنهج البياني يشكل أول دعوة واضحة محددة في تاريخ التفسير تدعو إلى تفسير القرآن على أساس موضوعاته، بعد أن كانت وظيفة التفسير لا تعدو أن تكون أكثر من محاولة للفهم الحرفي الجزئي للكتاب الكريم، في حين أن هذه الوظيفة يجب أن تتجاوز ذلك إلى محاولة إدراك المفهوم القرآني الكلي[٢٠٣].

---

(١٩٨) المرجع السابق ٣٠٦.

(١٩٩) بحوث في أصول التفسير، د.فهد الرومي ص ١٠٨ وما بعدها.

(٢٠٠) تفسير المنار ١/١٩.

(٢٠١) بحوث في أصول التفسير، د.فهد الرومي ص١٠٩.

(٢٠٢) تفسير المنار ١/٢٣.

(٢٠٣) هوامش على المنهج الأدبي للتفسير، عبدالله خورشيد، مجلة الثقافة الشهرية، ٢٢ نوفمبر عدد ١٩٧٥ مصر.

هذا بالإضافة إلى أن من محاسن هذه المدرسة لفت الأنظار والعقول والقلوب إلى حلاوة القرآن وعذوبة معانيه والتعرف على بلاغته وفصاحته، فإن من الناس من لا يتعظ قلبه ولا تطمئن نفسه بوعد الله، ولا تخشع لوعيده إلا إذا عرف معانيه وذاق حلاوته، وعاش معه آناء الليل وأطراف النهار متفكرًا متدبرًا[٢٠٤].

تقول الدكتورة عائشة عبدالرحمن، إحدى رواد هذا المنهج ومؤسسيه، «إن الدراسة الأدبية لأثر عظيم كهذا القرآن هي ما يجب أن يتقدم كل دراسة أخرى فيه، لا لأنه كتاب العربية الأكبر فحسب، ولكن- كذلك- لأن الذين يعنون بدراسة نواح أخرى فيه، والتماس مقاصد بعينها لا يستطيعون أن يبلغوا من تلك المقاصد شيئًا، دون أن يفقهوا أسلوبه الفذ، ويهتدوا إلى أسراره البيانية، كي لا يختلط عليهم الأمر أو يغيب عنهم شيء من مدلول اللفظ القرآني وإيحاء التعبير به، فسواء أكان الدارس يريد أن يستخرج من القرآن أحكامه الفقهية، أم يتبين موقفه من القضايا الاجتماعية أو اللغوية أو البلاغية، أم كان يريد أن يفسر آيات الذكر الحكيم تفسيرًا عامًّا على النحو الذي أَلِفناه في كتب التفسير، فهو مطالب بأن يتهيأ أولًا لما يريد، ويعد لمقصده عدته من فهم مفردات القرآن وأساليبه فهما يقوم على الدرس الأدبي المتذوق والمدرك لأقصى ما يستطيع من إيحاء التعبير»[٢٠٥].

وأشهر تفاسير الاتجاه الأدبي «دراسات من هدي القرآن» وهو سلسلة كان يصدرها أمين الخولي تحتوي على موضوعات عديدة.

---

(٢٠٤) تفسير المنار ١/١٨٢.

(٢٠٥) التفسير البياني للقرآن الكريم، د.عائشة عبدالرحمن ١/٧.

٣- التفسير الاجتماعي

حينما أصاب الأمة الضعف، وتسلل إليها التمزق، وتفشى الانحلال، اتجه طائفة من المفسرين يعتنون بالنظر إلى القرآن من زاوية الإصلاح الاجتماعي، وكيف أن القرآن يصلح ويزكي المجتمعات ويطهرها من دنس المعاصي والانحرافات، فأخذوا يتوسعون في تفسير القرآن، طالبين علاج مشكلات مجتمعاتهم، فينظر المفسر إلى مجتمعه نظرة الطبيب الفاحص يلتمس داءه، ويتعرف على علته، حتى إذا عرفه نظر في القرآن يطلب الدواء والعلاج، فإذا وجده توسع في شرحه وبيانه، وحث قومه على التزامه، فنشأ بهذا لون من ألوان التفسير وهو تفسير الإصلاح الاجتماعي(٢٠٦).

وذلك من خلال اتجاه هدائي يرشد فيه المفسر الناس إلى فهم مراد القائل من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأخلاق والأحكام، على الوجه الذي يجذب الأرواح ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام ليتحقق فيه معنى قوله ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾(٢٠٧)، وهو اتجاه أدرك المحدثون قيمته حين عرفوا أن ضعف اهتداء الناس بالقرآن في عصور التخلف والانحلال لم يكن إلا نتيجة خلو تفسيره من تطبيق عقائده وأحكامه على أحوال الناس وشؤونهم، ومن هنا كان فضل رواد التجديد في التفسير وجهدهم بارزين في النهوض بالفكر الإسلامي إلى عصور ازدهاره السابقة، والعودة بالقيم القرآنية إلى مكانها الفعلي من حياة الناس العلمية، بعد أن عاش المسلمون قرونًا طويلة يحسبون القرآن وسيلة للعبادة والحياة الروحية فحسب، وليس صراطًا مستقيمًا إلى معالجة شؤون الحياة(٢٠٨)، فأكثر المسلمين قد هجروا القرآن وباتوا يجهلون أن فيه كل ما يحتاجون إليه من

---

(٢٠٦) بحوث في أصول التفسير، د.فهد الرومي ١٠٥.

(٢٠٧) سورة الأعراف الآية ٥٢، انظر تفسير المنار ١/٢٥.

(٢٠٨) اتجاهات التجديد في مصر في العصر الحديث، د.إبراهيم الشريف ص٣١١.

حياة روحية وأدبية، وقوة سياسية وحربية، وثورة وحضارة.. يجهلون أن له تأثيرًا صالحًا في حياتهم المعيشية والمدنية والسياسية[٢٠٩].

وليس من الغريب أن يجد الباحث في التفسير محاولات متعددة يحاول خلالها رسم مثل عليا للمجتمع الذي يعيش فيه واستنباط معانٍ هادفة يلح على توضيحها، فإن الصلة بين النص القرآني وبين الإصلاح الاجتماعي قديمة قدم القرآن في الناس، وفي القرآن من الآيات ما يسعف على إقامة مجتمع مثالي، ولقد كان المفسر المحدث أكثر تنبيهًا إلى واقع مجتمعه خلال تفسيره، بحيث نستطيع أن نقول إن التفسير الحديث قد أدى دورًا رئيسًا في الخدمة الاجتماعية بمعناها الواسع[٢١٠].

وجدير بنا أن نذكر أن هذا الاتجاه الإصلاحي الذي اتجه إليه فريق من المفسرين لم يكن بدعًا من الأمر أو استحداثًا لمنهج لم يكن موجودًا من قبل، فمن المؤكد أن المفسر القديم كان يتعرض في تفسيره للآيات ذات الطابع الأخلاقي والاجتماعي، ولكنه كان يمر عليها مرورًا عارضًا ودون طول توقف أمامها، وذلك أن عوامل الانحراف الاجتماعي والأخلاقي في الأزمنة الأولى- إذا ما قيست بزماننا- لا تكاد تذكر، أو أنها لا تعد ظاهرة اجتماعية شرعية تمثل إشكالية علمية في التفسير، لينقطع المفسرون أو المصلحون للنظر والتأمل فيها، أو لم يكن الأمر ليحتاج أن يصاغ له قالب منهجي جديد في التفسير.

غير أن الأمر قد اختلف في زماننا هذا «فكان لا بد لمن يتناول تفسير القرآن الكريم في واقعنا المعاصر أن يقف عند الآيات ذات الطابع الأخلاقي والاجتماعي ويطيل الوقوف أمامها ويربط بينها وبين ما هو سائد في المجتمع ليشخص الداء ويصف الدواء، وأن يبين للناس الأخلاق السامية، والصفات الحميدة التي يجب

---

(٢٠٩) الفكر الديني في مواجهة العصر، د.عفت الشرقاوي ٢٨٧.

(٢١٠) المرجع السابق ٩٧.

على كل فرد أن يتحلى بها، وأن يكشف لهم ما هم عليه من المنكرات والبدع ويشرح لكل فرد من أفراد أمته حقوقه التي شرعها الله له، وأن يقرن هذا البيان القرآني بالبيان النبوي ليتضح المعنى وتتحدد الأهداف»(٢١١).

وقد نسب هذا الاتجاه إلى مدرسة «تفسير المنار» بعد أن قدموا التفسير للناس بصورة جديدة تعالج أوضاع الأمة الإسلامية، فدعوا إلى الوحدة الإسلامية، وتوجهت إليها أفكارهم وطالبوا بوحدة إسلامية جامعة شاملة لكل المسلمين، كما دعوا إلى الحرية بمفهومها الإسلامي، وانطلقوا منظِّرين لمنهج إصلاحي شامل للأمة الإسلامية، فتحدثوا عن الإصلاح التعليمي والتربوي والاقتصادي(٢١٢).

وأشهر تفاسير الاتجاه الاجتماعي هي:

تفسير المنار لمحمد عبده ومحمد رشيد رضا(٢١٣).

تفسير المراغي للشيخ مصطفى المراغي(٢١٤).

تفسير القرآن الكريم لمحمود شلتوت(٢١٥).

---

(٢١١) انظر منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، د. فهد الرومي ص٣٨٤.

(٢١٢) يراجع في ذلك بحث «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» وهو بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراه، د.فهد الرومي، وقد طبعته مؤسسة الرسالة بسوريا، كما يراجع الجزء الخاص بالمدرسة العقلية في بحث «اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري للباحث نفسه» ص٧٨٠.

(٢١٣) هو محمد بن رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، أحد رجال الإصلاح الإسلامي، لازم الشيخ محمد عبده، وتتلمذ على يديه، وأنشأ مجلة المنار، ونزع إلى مذهب السلف، وأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد، توفي فجأة ودفن بالقاهرة، انظر الأعلام ١٢٦/٦، معجم المؤلفين ٢٩٣/٣.

(٢١٤) هو محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي، من دعاة التجديد والإصلاح، ولد بالمراغة بصعيد مصر، تتلمذ على يد الإمام محمد عبده بالقاهرة، تولى القضاء في السودان، حنفي المذهب، عين شيخًا للأزهر سنة ١٩٢٨م، توفي سنة ١٩٤٥م، انظر الأعلام ١٠٣/٧.

(٢١٥) محمود شلتوت فقيه مفسر مصري، تخرج بالأزهر، وفصل من الأزهر لمعارضته بعض الشيوخ، لكنه عاد أقوى مما كان، فعين وكيلًا لكلية الشريعة، ثم عضوا بهيئة كبار علماء الأزهر، ثم عين شيخًا للأزهر عام ١٩٥٨م إلى وفاته، انظر الأعلام ١٧٣/٧.

مراجع الكتاب

١- التجديد في الإسلام من إصدارات المنتدى بلندن تحت رقم ١.

٢- القاموس المحيط الفيروز آبادي.

٣- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، طبعة دار الفتح.

٤- لمحات في علوم القرآن، للصباغ، طبعة المكتب الإسلامي.

٥- عون المعبود شرح سنن أبي داود.

٦- مفهوم تجديد الدين د. بسطامي سعيد.

٧- اتجاهات التجديد في مصر في العصر الحديث د. إبراهيم الشريف.

٨- الفكر الديني في مواجهة العصر د. عفت الشرقاوي.

٩- نحن والقرآن د. محمد عبد الله السمان.

١٠- الدين د. محمد عبدالله دراز

١١- تفسير المنار محمد رشيد رضا طبعة دار المنار.

١٢- التفسير والمفسرون للذهبي.

١٣- التجديد في التفسير، د. جمال أبوالحسن.

١٤- البرهان في علوم القرآن للزركشي.

١٥- إحياء علوم الدين.

١٦- النبأ العظيم د. محمد عبدالله دراز.

١٧- اتجاهات التفسير في مصر وسوريا د.عباس فضل، رسالة دكتوراه غير منشورة نقلا عن التجديد في القرآن مادة ومنهجا.

١٨- قواعد الترجيح عند المفسرين حسين الحربي

١٩- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي.

٢٠- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية.

٢١- العقيدة الواسطية لابن تيمية.

٢٢- معارج القبول شرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي.

٢٣- الإبانة عن أصول الديانة للأشعري.

٢٤- مناهج السنة لابن تيمية.

٢٥- فصول في علوم القرآن د.عدنان محمد زرزور.

٢٦- كيف تتعامل مع القرآن الكريم د. يوسف القرضاوي.

٢٧- مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية.

٢٨- بحوث في علوم القرآن د. فهد الرومي.

٢٩- مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي د. صلاح الصاوي.

٣٠- منهج المدرسة العقلية في التفسير د. فهد الرومي.

٣١- شرح صحيح مسلم للنووي.

٣٢- الإتقان في علوم القرآن السيوطي.

٣٣- مناهل العرفان للزرقاني.

٣٤- مباحث في علوم القرآن مناع القطان.

٣٥- في ظلال القرآن سيد قطب.

٣٦- الجواب الكافي لمن سأل في الدواء الشافي لابن قيم الجوزية.

٣٧- ربانية لا رهبانية أبو الحسن الندوي.

٣٨- مدخل إلى ظلال القرآن د. صلاح الخالدي.

٣٩- سيد قطب.. الشهيد الحي د. صلاح الخالدي.

٤٠- دراسات في الثقافة الإسلامية، مجموعة أبحاث. جامعة الكويت.

٤١- بحوث في أصول التفسير د. فهد الرومي.

٤٢- درء تعارض صحيح المنقول مع صريح المعقول لابن تيمية.

٤٣- الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي.

٤٤- بينات الحل الإسلامي. د. يوسف القرضاوي.

٤٥- الدين والعلم د. مصطفي الزهراني.

٤٦- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري د. فهد الرومي.

٤٧- العباب الزاخر واللباب الفاخر للصغاني، تحقيق محمد حسين آل ياسين.

٤٨- دراسات في التفسير د. السيد أحمد خليل.

٤٩- تفسير الشعراوي محمد متولي الشعراوي.

٥٠- العلم والإيمان في بناء المجتمعات د. عبدالغني الراجحي.

٥١- علوم القرآن الكريم د. نور الدين عتر.

٥٢- بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان الخطابي.

٥٣- منابع التجديد، أمين الخولي.

٥٤- التفسير البياني للقرآن الكريم د. عائشة عبدالرحمن.

فهرس الموضوعات

إصدارات
مجلة الوعي الإسلامي

١- القدس في القلب والذاكرة.

٢- حقوق الإنسان في الإسلام.

٣- النقد الذاتي .. رؤية نقدية إسلامية.

٤- الحوار مع الآخر .. المنطلقات والضوابط.

٥- المجموعة القصصية الأولى للأطفال.

٦- المرأة المعاصرة بين الواقع والطموح.

٧- الحج ولادة جديدة.

٨- الفنون الإسلامية تنوع حضاري فريد.

٩- لا إنكار في مسائل الاجتهاد.

١٠- المجموعة الشعرية الأولى للأطفال.


تم بحمد الله